المنهج الشرعي في مواجهة الفتن

تأليف
مرفت بنت كامل بن عبد الله أسرة

تقديم فضيلة الدكتور
محمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار
عميد كلية الدعوة والإعلام بالرياض
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الوطن للنشر

المنهج الشرعي
في
مواجهة الفتن

تأليف

مرفت بنت كامل بن عبدالله أسرة

تقديم

فضيلة الدكتور حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار

عميد كلية الدعوة والإعلام بالرياض

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الوطن للنشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار الوطن للنشر

الرياض ـ ص ب : ٣٣١٠ هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١

□ البريد الالكتروني : pop@dar-alwatan.com

□ موقعنا على الانترنت : www.dar-alwatan.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديـــم
الدكتور/ حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار

الحمد لله حمداً يليق بجلال الله وعظمته، والصلاة والسلام على القائل فيما رواه أبوهريرة رضي الله عنه: «**ستكون فِتَنٌ، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرَّفَ لها تستشرِفهُ، ومن وجدَ فيها ملجأً فَلْيَعُذْ به**»(١).

وإنَّ الناظرَ في عالمنا المعاصر يجد فتناً عويصة تلاحق المسلم والمسلمة، وتحرصُ على أن تعصفَ به في عالم الردى وغياهب السيئات، ولا عصمة منها إلا بحفظ الله عز وجل أولاً للمرء، ثمَّ بالتمسك بالمنهج الصحيح الذي دعا إليه الكتاب والسنة، وفقهه سلف الأمة الصالح وعملوا به رضوان الله عليهم.

إنَّ السيئة في وقتنا الحاضر أصبحت تتلوَّن، وتُعرض من قبل أصحابها بطرق وأساليب برَّاقة جذّابة، سواء ما تعلّق منها بالفتن في المعتقد، أو في السلوك، وأحسب أنَّ أختنا الباحثة الفاضلة/ **مرفت بنت كامل بن عبدالله أسرة** قدَّمت رؤية علمية عملية من خلال هذا البحث القيّم، عرَّفت من خلاله بالفتن وخطورتها، ثمَّ أبانت المنهج

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن برقم (٢٨٨٦).

الشرعي لمواجهتها، وقد وُفِّقت إلى حسن الجمع، والعرض والتوثيق والتحليل، وهو خطوة عملية مباركة في ميدان المعالجة والمواجهة، وهو جدير بأن يُقتنى ويُفاد منه.

وفي الختام: أسأل الله جلّت قدرته أن يحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يجزي الباحثة خير الجزاء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار

عميد كلية الدعوة والإعلام

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض ٢٤/ ٣/ ١٤٢١هـ

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

أما بعد(٤): فإنَّ رحلة العمر قصيرة، ولابدَّ للمسلم أن يتزود فيها بالعلم الشرعي الذي يمده بالبصيرة في أمور دينه ودنياه، فكثيراً ما تتخطفه في هذه الرحلة أمواج متلاطمة من الفتن لا ينجيه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.
(٤) انظر: خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمها أصحابه، ص١٠.

منها بعد حفظ الله عز وجل إلا الاعتصام بالكتاب والسنَّة، واتباع المنهج الشرعي الصحيح في مواجهتها.

وفي هذا البحث سأحاول جاهدة أن أسلط بعض الأضواء على الضوابط الشرعية التي يجب أن يكون عليها موقف المسلم من الفتن الماضية والحاضرة والمقبلة على ضوء الكتاب والسنَّة وهدي سلف الأمة، هذا وقد قسَّمت البحث على النحو التالي:

* **التمهيد:**

المبحث الأول: تعريف الفتن لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: خطورة الفتن على الدين.

المبحث الثالث: المنهج الصحيح في مواجهة الفتن.

* **الباب الأول: الفتن الماضية:**

الفصل الأول: نماذج مما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من الفتن.

المبحث الأول: موقعة الجمل.

المبحث الثاني: موقعة صفين.

الفصل الثاني: معتقد أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله ﷺ.

* **الباب الثاني: الفتن المستمرة.**

الفصل الأول: فتن دينية.

المبحث الأول: فتنة اللسان.

المبحث الثاني: فتنة الخلاف والفرقة.

المبحث الثالث: فتنة التعصب والهوى.

المبحث الرابع: ما قد يقع من جور الأئمة.
الفصل الثاني: فتن دنيوية.
المبحث الأول: فتنة المال.
المبحث الثاني: فتنة النساء.
المبحث الثالث: فتنة البنين.
* **الباب الثالث**: **الفتن المقبلة**:
الفصل الأول: **فتنة الهرج**.
المبحث الأول: اعتزال الفتنة.
المبحث الثاني: كسر السيوف.
المبحث الثالث: حفظ اللسان عن الخوض فيها.
الفصل الثاني: **فتنة الدجال**.
المبحث الأول: علامات الدجال.
المبحث الثاني: ثواب من يُقتل على يد الدجال.
الفصل الثالث: **فتنة الممات**.
المبحث الأول: تلقين المحتضر الشهادتين.
المبحث الثاني: ثواب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله.
الفصل الرابع: **فتنة القبر**.
المبحث الأول: قراءة سورة الملك.
المبحث الثاني: الاستشهاد في سبيل الله.
المبحث الثالث: الرباط في سبيل الله.
المبحث الرابع: الموت يوم الجمعة أو ليلتها.
المبحث الخامس: الاستعاذة بالله من عذاب القبر وفتنة القبر

في الصلاة.

*** الخاتمـــة.**

فما وافق الحق والصواب فمن توفيق الله جل وعلا وحده لا شريك له، لا أُحصي ثناء عليه، وما كان فيه من زلل ونقصان فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأسأله جل وعلا العفو والغفران، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله حُجة لي لا حُجة عليَّ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

تمهـــيد

المبحث الأول:
تعريف الفتن لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني:
خطورة الفتن على الدين.

المبحث الثالث:
المنهج الصحيح في مواجهة الفتن.

تمهـيد

المبحث الأول: تعريف الفتن لغة واصطلاحاً:

تعريف الفتن في اللغة:

الفِتَنُ جمع فتنة، وأصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، واستعمل في إدخال الإنسان النار[١].

وللفتنة عدة معان منها: الابتلاء والامتحان والاختبار، والفتنة المال، والفتنة الأولاد، والفتنة الكفر، والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنة الإحراق بالنار، والفتنة الظلم، والفتنة إعجابك بالشيء، والفتنة الإضلال، والفتنة الجنون، والفتنة الفضيحة، والفتنة العذاب، والفتنة ما يقع بين الناس من القتال[٢]، وقد كَثُرَ استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم، والكفر، والقتال، والإحراق، والإزالة، والصرف عن الشيء[٣].

تعريف الفتنة في الاصطلاح:

لقد ذكر المفسرون للفتنة عدة معان من أبرزها:

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، ص٣٧١، مادة: (فتن).
(٢) لسان العرب (٥/ ٣٣٤٤ ـ ٣٣٤٦)، مادة: (فتن) باختصار.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤١١)، مادة: (فتن).

أولاً: الكفر:

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: الفتنة ها هنا الكفر(٢).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: «أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة»(٣).

ثانياً: الشرك:

قال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٤). قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك(٥).

ثالثاً: الإضلال:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (١٨/ ١٣٥).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٩٧).
(٤) سورة البقرة، الآيات: ١٩١ ـ ١٩٣.
(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢٩).

وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾: «أي الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنَّهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حُجة عليهم لا لهم»[٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾[٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية: (أي إنكم أيها المشركون ومن عبدتموه مع الله، لا تقدرون أن تفتنوا وتضلوا أحداً إلا من قضى الله أنه من أهل الجحيم)[٤].

رابعاً: التدليس:

قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾[٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: «أي احذر

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥).
(٣) سورة الصافات، الآيتان: ١٦١، ١٦٢.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (٦/ ٤٠٢).
(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

أعداءك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما يُنْهُونه إليك من الأمور، فلا تغترَّ لهم، فإنَّهم كَذَبَة كفرة خونة»[١].

خامساً: اللبس بين الحق والباطل:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض»[٣].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر، من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وعدم كثير من العبادات الكبار، كالجهاد، والهجرة، وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين، التي تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء، بعضهم لبعض»[٤].

سادساً: الوقوع في المعاصي:

قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٢٢).
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٣.
(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٢).
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣/ ١٩٤).

وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: قال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم باللّذات والمعاصي والشهوات، وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالحق وأهله[٢].

سابعاً: العذاب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[٣].

روى الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في سياق تفسيره للآية الكريمة بسنده عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا﴾ قال: عذبوا[٤].

ثامناً: القتل أو الأسر:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٥].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: لا جناح عليكم أن تقصروا من حدود الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا يعني: إن خشيتم أن

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٤٤).
(٣) سورة البروج، الآية: ١٠.
(٤) جامع البيان في تفسير القرآن (٣٠/ ٨٧).
(٥) سورة النساء، الآية: ١٠١.

يفتنكم الذين كفروا في صلاتكم، وفتنتهم إياهم فيها حملهم عليهم وهم فيها ساجدون حتى يقتلوهم أو يأسروهم[١].

تاسعاً: العداوة:

قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة[٣].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾: أي حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم[٤].

عاشراً: الابتلاء والامتحان:

قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[٥].

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (٥/ ١٥٤).
(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٤٧، ٤٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٠٠).
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣/ ٢٤٣).
(٥) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢، ٣.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه أن الله سبحانه وتعالى لابد وأن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان[١].

المبحث الثاني: خطورة الفتن على الدين:

إن المتأمل في النصوص الواردة في التحذير من الفتن يدرك تماماً خطورتها على دين المسلم، فهي تنال من دينه كما تنال النار من الحطب حتى يتحول والعياذ بالله إلى رماد! وإن لم تسلبه دينه بالكلية فإنها تجعله يتقلب بين الكفر والإيمان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً. يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[٢].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف ﷺ نوعاً من شدائد تلك الفتن وهو أنه يمسي مؤمناً ثم يصبح كافراً أو عكسه ـ شكَّ الراوي ـ وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب، والله أعلم[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١/ ١١٠/ رقم: ١٨٧).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١٣٣)، الحاشية.

لذلك حذَّر ﷺ من الانحراف وراء الفتن المهلكة.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تكون فتن على أبوابها دعاة إلى النار، فإن تموت وأنت عاض على جِذْل شجرة خير لك من أن تتبع أحداً منهم»**[(١)].

وكان عليه الصلاة والسلام من شدة خشيته يسأل الله عز وجل أن يقبضه إليه إذا أراد بعباده فتنة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة** ـ قال: أحسبه قال في المنام ـ فقال... وقال: **يا محمد، إذا صليت فقل اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحبَّ المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»**[(٢)].

وما يجدر التنبيه إليه هنا:

أن تمني الموت في غير التعرض للفتن الشديدة وتمنيه لأدنى ضرٍّ ينزل بالإنسان ليس مشروعاً، فإنَّ النبي ﷺ نهى عن ذلك، عن

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب العزلة (٢/ ١٣١٨/ رقم: ٣٩٨١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند (٢/ ٣٦١/ رقم: ٣٢١٦).

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي في سننه (أ: تفسير القرآن، باب: سورة ص (٥/ ٤٤/ رقم: ٣٢٨٦)، ومالك في موطئه (باب: العمل في الدعاء) (١/ ١٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٦٤/ رقم: ٤٠٥)، وصحيح الجامع (١/ ٧٢/ رقم: ٥٩).

أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنينَّ أحدكم الموت لضرٍّ نزل به، فإن كان لابد متمنياً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**»(١).

وذلك أن تمني الإنسان للموت لضرٍّ نزل به فيه استعجال بأن يقطع الله حياته، وربما يحرمه من خير كثير، ربما يحرمه من التوبة وزيادة الأعمال الصالحة، ولا يكون ذلك إلا ممن لا صبر عنده، إنما الواجب على الإنسان أن يصبر على الضر، وأن يحتسب الأجر من الله عز وجل، فإن الضرَّ الذي يصيبه من همٍّ، أو غمٍّ، أو مرض، أو أي شيء إنما هو مكفر للسيئات ورفعة للدرجات(٢).

فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير. إن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له، وإنْ أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له**»(٣).

المبحث الثالث: المنهج الصحيح في مواجهة الفتن:

إذا نزلت الفتن بالمسلم فلا أجدى في التصدي لها من الاعتصام بالكتاب والسنة، فهو أصل عظيم من أصول الدين، ومنهاج خاتم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء بالموت والحياة (٨/ ٩٤).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين (١/ ١٩٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (٤/ ٢٢٩٥/ رقم: ٦٤).

الأنبياء والمرسلين خاصة عند الاختلاف.

وقد أجمعت الأدلة من الكتاب والسنة على هذا الأصل، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ الآية[١].

قال الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ: المراد بالحبل: الكتاب والسنة، والمراد (بالكتاب) القرآن المتعبد بتلاوته و(بالسنة) ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وما همَّ بفعله.

وقال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو في إجماع العلماء على معنى في أحدهما[٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٣].

في الآية الكريمة أَمَرَ الله تعالى بردِّ كل ما تنازع الناس فيه، من أصول الدين وفروعه إلى الله والرسول، أي: إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما، أو عمومهما، أو إيماء أو تنبيه، أو مفهوم، أو عموم معنى يُقاس عليه ما أشبهه؛ لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما، فالردُّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
(٢) الاعتصام والسنة، ص١٢ (باختصار).
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

إليهما شرط في الإيمان[١].

فإن مسائل النزاع التي تتنازع فيها الأمة في الأصول والفروع، إذا لم ترد إلى الكتاب والسنة الصحيحة لم يُتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بيّنة في أمرهم، فربما بغى بعضهم على بعض إما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه؛ وإما بالفعل مثل ضربه أو قتله، وأي فتنة أعظم من هذه الفتنة؟ عياذاً بالله[٢].

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودّع فماذا تعهد إلينا؟ قال: **«قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وإن عبداً حبشياً، فإنما المؤمن كالجمل الأَنِف، حيثما انقيد انقاد»**[٣].

وفي الأثر عن الزهري رحمه الله أنه قال: **«الاعتصام بالسنة نجاة»**[٤]. وذلك أنه بالإعراض عن الكتاب والسنة ومخالفتهما

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢/ ٨٩) (بتصرف).

(٢) الفتنة وموقف المسلم منها في القرآن، ص٤٣٠ (بتصرف).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، (المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين)، (١/ ١٥/ رقم: ٤٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٣/ رقم: ٤٠).

(٤) أورده اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٥٦/ رقم: ١٥)، والآجري في الشريعة: ص٣١٣، وأخرجه مطولاً أبونعيم في الحلية (٣/ ٣٦٩)، =

تحصل الفتنة، وتحل المحنة[١].

فما من فتنة أصابت المسلمين بعد عصر الرسول ﷺ إلا بسبب مخالفتهم لأمر من أوامره، أو تركهم لسنة من سننه عليه الصلاة والسلام[٢].

لذلك كان جهاد المتمسك بالسنة لنفسه عند الفتن كبيراً. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المتمسك بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر**»[٣].

* * *

= وابن المبارك في كتاب الزهد ويليه كتاب الرقائق (رقم: ٨١٧)، ص٢٨١، واللالكائي في المصدر المذكور بالهامش نفسه (١/ ٩٤، ٩٥/ رقم: ١٣٦، ١٣٧).

(١) انظر: الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن: ص٤٢٨.

(٢) العواصم من الفتن في سورة الكهف، ص١٩ (بتصرف).

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦/ ١٠/ رقم: ٦٥٥٢).

الباب الأول
الفتن الماضية

الفصل الأول
نماذج مما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من الفتن

المبحث الأول: موقعة الجمل.

المبحث الثاني: موقعة صفين.

الفصل الثاني
معتقد أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله ﷺ ورضوان الله تعالى عليهم

الباب الأول: الفتن الماضية

الفصل الأول: نماذج مما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من الفتن:

المبحث الأول: موقعة الجمل:

تَذْكُر كتب التاريخ أنه بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومبايعة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقعت فتنة عظيمة بين المسلمين حيث اقتتل جيشان عظيمان الأول جيش أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والذي توجهت به للبصرة لأخذ الثأر من قتلة الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، والآخر جيش الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك في موقعة قبل البصرة اشتهرت باسم موقعة الجمل نسبة إلى الجمل الذي كان يحمل هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، انتهت بهزيمة جيشها رضي الله عنها، ومِنْ ثَمَّ أَمَر الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفراً أن يحملوا الهودج من بين القتلى وأن يذهبوا بها إلى البصرة.

وكان الخليفة الراشد علي رضي الله عنه كلمَّا مرَّ برجل يعرفه ترحم عليه وقال: يعزُّ عليَّ أن أرى قريشاً صرعى، ولمَّا مرَّ على طلحة رضي الله عنه قال: لهفي عليك يا أبا محمد، إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم صلى على قتلى الفريقين.

وقد سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عمن قُتِل من جيشها ومن قُتِل من جيش الخليفة الراشد علي رضي الله عنه، فجعلت كلّما ذُكر لها أحدهم ترحَّمت عليه، ودعت له، ولمّا أرادت رضي الله عنها الخروج من البصرة، بعث إليها الخليفة الراشد علي رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وسيّر معها أخاها محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، فلمَّا كان اليوم الذي ارتحلت فيه ودّعت الناس ودَعت لهم وقالت: «يا بنيّ، لا يعتب بعضنا على بعض، إنَّه والله ما كان بيني وبين عليٍّ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنَّه على معتبتي لمن الأخيار، فقال الخليفة الراشد علي رضي الله عنه: صَدَقَتْ والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنَّها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، وسار معها رضي الله عنها مودعاً ومُشيعاً أميالاً، وسرّح بنيه معها بقية ذلك اليوم، وكانت قد توجهت إلى مكة رضي الله عنها وأرضاها[١].

ومما يجب التنبيه إليه أن عبدالله بن سبأ ـ عليه من الله ما يستحق ـ وزمرته كانوا وراء إذكاء نار هذه الفتنة، فقد انتشروا بين الفريقين يشعلون البغضاء ويطلقون الإشاعات؛ ليزداد كل فريق خوفاً من الآخر[٢].

---

(١) انظر تفاصيل هذه الواقعة في البداية والنهاية في التاريخ (٧/ ٢٥٠ ـ ٢٦٩).

(٢) انظر: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، ص٢٧٥.

وكلما اقترب الفريقان من الصلح اعترض ابن سبأ الذي كان في جيش الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

المبحث الثاني: موقعة صفين:

كما وقعت فتنة أخرى بين المسلمين متعلقة بالموضوع نفسه، وهو أخذ الثأر لقتلة الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه حيث امتنع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عن مبايعة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة حتى يقتل قتلة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فخرج إليه الخليفة الراشد علي رضي الله عنه متوجهاً إلى الشام لقتاله، فشبَّت الحرب بين الجيشين، وقد كان في جيش الخليفة الراشد علي رضي الله عنه عمّار بن ياسر رضي الله عنه الذي قال له رسول الله ﷺ: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٢].

فكان قتله رضي الله عنه على يد أهل الشام، فحمل الخليفة الراشد علي رضي الله عنه وأصحابه عليهم حملة رجل واحد، واستمروا في قتالهم حتى كادوا أن يهزموهم، عند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح وقالوا: هذا بيننا وبينكم، قد فني الناس فمن للثغور؟ ومن لجهاد المشركين والكفار؟

---

(١) انظر: عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ص١٩٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (٤/ ٢٢٣٦/ رقم: ٧٢).

وبعد مكاتبات ومراجعات طويلة توصل الفريقان إلى أن يحكِّم كلٌّ واحدٍ من الأميرين ـ علي ومعاوية رضي الله عنهما ـ رجلاً من جهته، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكَّل الخليفة الراشد علي أبا موسى الأشعري، ووكَّل معاوية عمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين، فكتبا كتاباً ذكرا فيه ما تقاضى عليه الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من النزول عند حكم الله عز وجل وكتابه، وأن ما وجد الحكمان في كتاب الله عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المتفرقة، ثم أخذا من علي ومعاوية رضي الله عنهما ومن الجندين العهود والمواثيق بالأمان على نفوسهم وأهلهم[1].

* * *

(١) للاستزادة من تفاصيل هذه الواقعة، انظر: البداية والنهاية في التاريخ (٧/ ٢٧٦ ـ ٣٠٣).

الفصل الثاني: معتقد أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله ﷺ:

بعد أن تعرّفنا على بعض النماذج لِمَا وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من فتن، لابد من وقفة عُجلى عند واجبنا نحوهم، فإنَّ من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة محبة صحابة رسول الله ﷺ بلا استثناء، وإنزالهم منزلتهم الرفيعة الثابتة بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١].

وقال ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه**»[٢].

وقال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[٣].

وفي الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تسبوا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضائل الصحابة (٥/ ٢).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضائل الصحابة (٥/ ١٠).

أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة ـ يعني مع النبي ﷺ ـ خير من عمل أحدكم أربعين سنة، وفي رواية: خير من عبادة أحدكم عمره»[١].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ فوجب قتاله ليرجع إلى أمر الله...» اهـ[٢].

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرّط في حبِّ أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبُّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[٣].

ويفصّل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان جزئيات هذه القاعدة الشرعية فيقول: «ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ

---

(١) أورده شارح الطحاوية وصححه الألباني، راجع شرح العقيدة الطحاوية، ص٥٣١ (هـ١).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ١١) (الحاشية).

(٣) متن العقيدة الطحاوية (ص١٤).

رَّحِيمٌ﴾[١]، وطاعة النبي ﷺ في قوله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو**[٢] **أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**» ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنَّة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضِّلون من أنفق من قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل، ويقدِّمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأنَّ الله تعالى قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» وبأنَّه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه...

إلى أن قال: ويُمسكون عمّا شجر بين الصحابة، ويقولون إنَّ هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب، ومنها ما قد زِيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه الصريح، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أنَّ كلَّ واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يُوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يُغفر لمن بعدهم؛ لأنَّ لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنَّهم خير القرون، وأنَّ المُدَّ من أحدهم إذا تصدق به

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٢) في لفظ البخاري: «**فلو أنَّ أحدكم...**» الحديث.

كان أفضل من جبل أُحُد ذهباً ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غُفِر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتليَ ببلاء في الدنيا كُفِّرَ به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجرٌ واحدٌ، والخطأ مغفور، قال ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»[(١)].

ثم إنَّ القدر الذي يُنكر من فعل بعضهم قليل نَزْرٌ مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة والنصرة، والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنَّهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله عز وجل»[(٢)]. اهـ.

موقف أهل السنة والجماعة مما نُسب إلى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم:

من هذه القاعدة الشرعية يتحدد موقف أهل السنة والجماعة مما نُسِبَ إلى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وشجر بينهم في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم (٩/ ١٣٢).
(٢) متن العقيدة الواسطية، ص٧١ ـ ٨٢ (باختصار).

جانبين أساسيين:

١ ـ **الإمساك عما شجر بين الصحابة** رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ويكون ذلك بالكف عن البحث فيه؛ لأنه من أعظم الذنوب، فطريق السلامة هو طريق السكوت عن ذلك وعدم التحدث به.

٢ ـ **الاعتذار عن الآثار المروية في مساويهم**، للحيثيات التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه السابق، لما في ذلك من الدفاع عنهم والرد لكيد أعدائهم[(١)].

فهذا هو المنهج الحق الذي يجب على المسلم أن ينهجه في موقفه مما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين من فتن، فيحفظ قلبه وعقله ولسانه عن الخوض في أحدهم بأي انتقاد أو تنقص، وليسعه ما وسع سلف الأمة من الكفِّ عن صحابة رسول الله ﷺ، وليعلم أن الله تعالى لن يسأله يوم القيامة إلا عما بدر منه من نيّة وقول وعمل، ولن يسأله تعالى عن أعمال غيره من السابقين أو اللاحقين، فعلام إذاً يدخل المسلم في ذمته أموراً قد تجرُّ عليه الوبال والخسران؟

وأختم الكلام في هذا الموضوع بوصية نفيسة للقاضي ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ قال فيها: «أمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين،

---

(١) انظر تفاصيل الكلام على ذلك في شرح العقيدة الواسطية/ لفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، ص٢٠٣ ـ ٢٠٦.

وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ، فقد هلك من كان أصحاب النبي ﷺ خصمه، ودعوا ما مضى، فقد قضى الله فيه ما قضى، وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقاداً وعملاً، ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملاً، فإن الله لا يضيِّع أجر من أحسن عملاً.

ورحم الله الربيع بن خيثم فإنه لما قيل له: قتل الحسين قال: أقتلوه؟ قالوا: نعم، فقال: ﴿ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1] ولم يزد على هذا أبداً، فهذا العقل والدين، والكفُّ عن أحوال المسلمين والتسليم لرب العالمين) اهـ[2].

* * *

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٦.

(٢) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، ص١٨٠.

الباب الثاني

الفتن المستمرة

الفصل الأول: فتن دينيـة

المبحث الأول: فتنة اللسان.
المبحث الثاني: فتنة الخلاف والفرقة.
المبحث الثالث: فتنة التعصب والهوى.
المبحث الرابع: ما قد يقع من جور الأئمة.

الفصل الثاني: فتـن دنيويـة

المبحث الثاني: فتنة المال.
المبحث الثاني: فتنة النساء.
المبحث الثالث: فتنة البنين.

الباب الثاني: الفتن المستمرة

الفصل الأول: فتن دينية

المبحث الأول: فتنة اللسان:

إنَّ اللسان من أشد أعضاء الإنسان خطورة عليه! فهو على صغر حجمه وليونة قوامه قد يُورد صاحبه المهالك، ففي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه، ونحن نسير فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال: «**لقد سألت عظيماً وإنه ليسيرٌ على مَنْ يسَّره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة...**» إلى أن قال: «**... ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**» قلت: بلى، فأخذ بلسانه فقال: «**تكف عليك هذا**» قلت: يا نبي الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم**»[(١)].

ولفتنة اللسان عدة أنماط منها:

المطلب الأول: الغيبة:

إن أشد آفات اللسان فتكاً بدين صاحبه آفة الغيبة التي شبَّهها

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند (٢/ ٣٥٩/ رقم: ٣٢٠٩).

الله عز وجل بأكل لحم المسلم الميت نيئاً، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[١].

فإن أكلَ لحم الإنسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جِبِلَّةً وطبعاً ولو كافراً أو عدواً، فكيف إذا كان أخاً في النسب أو الدين؟ وكيف إذا كان ميتاً؟ فإن لحم ما يُستطاب ويحل أكله يصير مستقذراً بالموت[٢]. فكيف به والحالة هذه قد جمع بين أمرين مستقذرين شرعاً وعرفاً؟! حتماً إن هذا الأمر غاية في الاشمئزاز على النفس، ولما كان الجزاء من جنس العمل كان عقاب من يأكل لحوم الناس بغيبتهم مروعاً تنفر منه النفوس، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم! فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**»[٣].

وذلك لما لعرض المسلم من حرمة، قال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**...»[٤] والغيبة تتناول العرض[٥].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) كشف الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة (ضمن ثلاث رسائل في الغيبة)، ص٤٧ (باختصار).

(٣) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الأدب، باب في الغيبة (٥/ ١٩٤/ رقم: ٤٨٧٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (٣/ ٩٢٣/ رقم: ٤٠٨٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله (٤/ ١٩٨٦/ رقم: ٣٢).

(٥) تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (٢/ ٢٤٧).

مسائل ملحقة بالغيبة:

أ ـ التعريض بالغيبة:

وليست الغيبة تعني النطق بمعايب الآخرين باللسان فحسب كما قد يُفهم من حديث الرسول ﷺ: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذِكْرك أخاك بما يكره**» فقيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته. وإن لم يكن فيه فقد بهته**»(١).

إنما يدخل في حكم الغيبة كل ما من شأنه التعريض بها إشارة وإيحاء وغمزاً وهمزاً وكتابة وحركة. فمن أومأ بيده إلى قِصر أحد أو طوله، أو حاكاه في المشي كما يمشي، أو كتب عن شخص في عيب فيه، أو لمَّح بشخصه كقوله: من قدم من السفر أو بعض من مرَّ بنا اليوم إذا كان المخاطَب يفهمه، أو بالدعاء كقوله: الحمد لله الذي لم يبتلنا بكذا، ويذكر صنعة ذميمة له يعرفها المخاطَب، أو المدح كقوله: ما أحسن أحوال فلان، ولكنه ابتلي بأمر ابتلي به كلنا، وهو كذا، فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره ضمن ذلك، أو من يقدم ذكر الله قبل الغيبة كمن يقول: سبحان الله، ما أعجب هذا، حتى يُصغى إليه ثم يقول: ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به، فيكون كاذباً في دعوى الاغتمام؛

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة (٤/٢٠٠١/ رقم: ٧٠).

لأنه لو اغتم به لاغتم بإظهار ما يكرهه، وكذلك قوله: المسكين قد بُلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه، ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة من قِبَل المُخاطب على سبيل التعجب؛ ليزيد من نشاط المغتاب في الغيبة واندفاعه إليها فيقول: عجيب! ما علمت أنَّه كذلك، كنت أحسب فيه غير هذا، عافانا الله من بلائه.. فإنَّ كل ذلك تصديقٌ للمغتاب إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن لم يستطع[١].

وتزداد خطورة الغيبة على صاحبها بهتك الله تعالى لستر صاحبها مقابل هتكه لستر أخيه المسلم.

ففي الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنَّه من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته**»[٢].

فالأمر جِدّ خطير، وإطلاق المرء العنان للسانه في النيل من أعراض الآخرين وذكر معايبهم من ورائهم من أكبر الفتن التي تورده المهالك، كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه المتقدم عن رسول الله ﷺ والذي جاء فيه: «... **وهل يكبُّ الناس في**

---

(١) تهذيب موعظة المؤمنين ص٢٤٧، (بتصرف)، وانظر: فتاوى شيخ الإسلام (مسألة في الغيبة، ضمن ثلاث رسائل في الغيبة) ص٢٤.

(٢) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الأدب، باب في الغيبة (٥/ ١٩٥/ رقم: ٤٨٨٠)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند: حسن صحيح (٣/ ٩٢٣/ رقم: ٤٠٨٣).

النار إلا حصائد ألسنتهم»[١].

وكما كان العقاب شديداً على المغتاب، فإنَّ الثواب عظيماً لمن يدفع الغيبة عن أخيه المسلم، وبذلك يخرج من شراك هذه الفتنة، قال ﷺ: «**من ذبّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار**»[٢].

وفي رواية: «**من ردَّ عن عرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[٣].

٢ ـ غيبة ولاة الأمر:

ومن أشد أنواع الغيبة فتنة على الفرد والمجتمع: غيبة ولاة الأمر ونقدهم والتشهير بعيوبهم، سُئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ السؤال التالي: **هل من منهج السلف نقد الولاة من فوق المنابر؟**

فأجاب رحمه الله: «ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذِكر ذلك على المنابر؛ لأنَّ ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم

---

(١) تقدم تخريجه في بداية الحديث عن فتنة اللسان.

(٢) أخرجه أحمد والطبراني وقال الهيثمي: حسن، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥/ ٢٩٠/ رقم: ٦١١٦).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (أ: البر والصلة، باب: ما جاء في الذب عن المسلم) (٣/ ٢١٩/ رقم: ١٩٩٦)، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (١/ ١٨١/ رقم ١٥٧٥).

السمع والطاعة في المعروف، ويُفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع»[١].

ولا يخفى ما في نقدهم على المنابر من غيبتهم وذكر مساوئهم من ورائهم.

ومن ولاة الأمر العلماء، وغيبتهم والتجريح فيهم من الأمور التي ابتليت بها الأمة الإسلامية في الآونة الأخيرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإذا أفتى العالِم الذي عُرف باتباعه للسنة وإفتائه بموجب الدليل الشرعي بفتوى خالف فيها عالِماً آخر من علماء السنة، تصدى له بعض المتعصبين بغيبته وذمّه والتحذير منه، وربما وصل الأمر إلى تضليله وتبديعه والعياذ بالله! مع أن الله تعالى قد آجره على اجتهاده وإن أخطأ فيه، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»[٢].

وحول هذا المضمون سُئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين حفظه الله السؤال التالي:

ما رأي فضيلة الشيخ في بعض الشباب ـ ومنهم بعض طلبة العلم ـ الذين صار دَيْدَنَهُم التجريح في بعضهم البعض وتنفير الناس عنهم والتحذير منهم، هل هذا عمل شرعي يُثاب أو يُعاقب عليه؟

---

(١) المعلوم في واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم ص٢٢.

(٢) تقدم تخريجه عند الحديث عن معتقد أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله ﷺ.

فأجاب حفظه الله قائلاً:

الذي أرى أن هـذا عمـل محرّم، فإذا كان لا يجوز لإنسان أن يغتاب أخاه المؤمن وإن لم يكن عالماً، فكيف يسوغ له أن يغتاب إخوانه العلماء من المؤمنين، والواجب على المؤمن أن يكفّ لسانه عن الغيبة في إخوانه المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وليعلم هذا الذي ابتُلي بهذه البلوى أنَّه إذا جرّح العالم فسيكون سبباً في ردِّ ما يقوله هذا العالِم من الحق، فيكون وبال رد الحق وإثمه على هذا الذي جرّح العالِم؛ لأن جرح العالم في الواقع ليس جرحاً شخصيًّا، بل هو جرح لإرث محمد ﷺ، فإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، فإذا جرّح العلماء وقدح فيهم لم يثق الناس بالعلم الذي عندهم وهو موروث عن رسول الله ﷺ، وحينئذٍ لا يثقون بشيء من الشريعة التي يأتي بها هذا العالِم الذي جُرّح..

إلى أن قال: فالمهم أنني أحذّر إخواني من هذا البلاء وهذا المرض، وأسأل الله لي ولهم الشفاء من كل ما يعيبنا أو يضرنا في ديننا ودنيانا[2]. اهـ.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) فتاوى إسلامية (٤/ ٢٧٧) (باختصار).

٣ ـ غيبة رجال الحسبة:

ومما يُشاع أيضاً بين الناس في العصر الحالي غيبة رجال الحسبة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وتصيّد أخطائهم في أمرهم ونهيهم ونشرها بين الناس، والتفكه بها في المجالس لتنفير الناس منهم، وهذا الأمر لا يُستهان بخطورته على الفرد والمجتمع، فإنَّ المُحتسِب عندما يمارس عمله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأسواق والأماكن العامة وغيرها، فإنَّه لا يمثل نفسه إنَّما هو بحكم ما كلّف به من ولاية دينية هي ولاية الحسبة، لا يأمر وينهى إلا بما جاء به الدين الحنيف، والتعرض له في عمله هو في الحقيقة تعرض للدين الذي يأمر بجزء منه خلال قيامه بالأمر بالمعروف، وينهى عن بعض ما منعه خلال قيامه بالنهي عن المنكر، والتضجر من عمله هو تضجر من الشرع الذي يأمر به من خلال عمله.

ولو يعلم الناس كم من بلاء يدفعه الله عنهم بسبب قيام رجال الحسبة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لكان لهم معهم شأن آخر.

ففي الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَثَل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمَثَل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما**

أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[١].

فالقائم على حدود الله هو الآمر بالمعروف، والواقع فيها هو العاصي[٢].

وهكذا يدل الحديث على أنَّ سبب النجاة وسبيلها هو الأخذ على يد المتسبب في الفساد بلزوم المداومة على إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣].

٤ ـ غيبة العصاة غير المجاهرين:

وفي المقابل ابتلي بعض الأخيار والصالحين بكل أسف بغيبة بعض أصحاب المعاصي والمنكرات ـ وإن كانوا غير مجاهرين بمعاصيهم ـ ظناً منهم أنَّ ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! فتراهم في مجالسهم يخوضون في أعراض المسلمين ويكشفون عوراتهم، ويتفكهون بذلك، وهم يظنون أنهم ينهون عن المنكر[٤]!!

والواجب عليهم أن يكونوا أبعد الناس عن غيبة الآخرين، وألا يقعوا فريسة للحيل الشيطانية التي توهمهم أنَّ لفعلهم ذلك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، (٣/ ١٨٢).
(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥/ ٢٩٥).
(٣) مقاصد أهل الحسبة ص٦٦ (بتصرف).
(٤) انظر: مجالسنا إلى أين؟ ص٤٤.

مخرجاً شرعيًّا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا من تلبيس إبليس أعاذنا الله منه، وإلا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون مع الشخص المقصود مباشرة وليس من خلفه أو مع غيره.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنَّ للغيبة صوراً تجوز فيها منها:

١ ـ التظلم.
٢ ـ الاستعانة على تغيير المنكر.
٣ ـ الاستفتاء.
٤ ـ تحذير المسلمين من الشر.
٥ ـ المجاهرة بالفسق أو البدعة.
٦ ـ التعريف بالرجل بذكر لقبه الذي عُرف به كالأعمش والأعمى والأعرج... إلخ[١].

المطلب الثاني: إفساد ذات البين:

إنَّ إفساد ذات البين من أشد فتن اللسان فتكاً بكيان المجتمع المسلم، فهي تفتت أواصر المحبة وتخلخل عُرىٰ الاتحاد بين المسلمين حتى يتفكك بنيان المجتمع المسلم ويتهادى عياذاً بالله.

فهذه مغبَّتها على المجتمع، أما على الفرد فهي أشد وأنكى؛ لأنها تكاد أن تأتي على دين صاحبها كما في حديث أبي هريرة

---

(١) انظر: تفاصيل ذلك في كشف الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة (ضمن ثلاث رسائل في الغيبة) ص٤٨.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة**»، قال أبوعيسى الترمذي: وسوء ذات البين يعني به العداوة والبغضاء، وقوله «**الحالقة**» أنها تحلق الدين[١].

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم: أفشوا السلام بينكم**»[٢].

فالحسد والبغضاء وإن كانا من أعمال القلوب بالدرجة الأولى إلا أنهما يتعديان إلى اللسان بالكلام الذي يعبر عن مكنونهما، والتصرفات التي تنم عن سيطرتهما على صاحبهما سواء كان ذلك في الحياة الأسرية أو الاجتماعية مما ينجم عنه تصدع كبير في كيان المجتمع، والذي لا تقر به إلا أعين الأعداء وعلى رأسهم إبليس أعاذنا الله من وساوسه.

لذلك لابد لمن ابتُلي بهذه الفتنة أن يواجهها برباطة جأش، ومجاهدة نفس، ولجوء صادق إلى الله سبحانه وتعالى بأن يعينه

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (أ: صفة القيامة، ب: ٢٠) (٤/٧٣/ رقم: ٢٦٢٥)، وقال: هذا حديث صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (٢/٣٠٧/ رقم: ٢٠٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (أ: صفة القيامة، ب: ٢٠) (٤/٧٣/ رقم: ٢٦٢٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (٢/٣٠٧/ رقم: ٢٠٣٨).

على التخلص من هذه البلية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فالغل والحقد والحسد هي الشرارة التي يندلع منها حريق فساد ذات البين، وفساد ذات البين الناتجة عن الحقد والعداوة والحسد والبغضاء، تحلق الدين من حيث إنها تحلق أعمال وحسنات صاحبها حتى يكون صفر اليدين منها.

ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟ إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طُرح في النار**»[2].

وإذا كانت العداوة والبغضاء التي دفعت صاحبها إلى شتم غيره وقذفه وضربه وسفك دمه تعد من أوضح دلائل إفساد ذات البين في المجتمع المسلم، وأهم أسباب خسران صاحبها وحرمانه من ثواب أعماله الصالحة في الدار الآخرة، فإن الوجه الآخر للسلوك الإيجابي كالإصلاح بين الناس والذي أمر الله به كما في

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٧/ رقم: ٥٩).

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾[١] من أهم مقومات البناء في المجتمع المسلم، والحصول على الرفعة في الدرجات.

عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى، قال: «**إصلاح ذات البين، وفساد ذات البَين الحالقة**»[٢].

ففي الحديث دلالة على عظم مكانة إصلاح ذات البين في المجتمع المسلم حتى إنها تفوق في المنزلة عند الله مقام الصيام والصلاة على ما فيها من درجات عليا، حيث إن الصلاة والصيام والصدقة فائدتها تعود على صاحبها فحسب بالأجر والثواب، أما إصلاح ذات البين ففائدته تعود على الفرد بالأجر والثواب لفاعله وعلى المجتمع بالائتلاف الذي يتسم به المجتمع المسلم، ويستمد منه قوة يجابه بها الأعداء.

المطلب الثالث: النميمة:

النميمة ونقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد بينهم، آفة الآفات ومفرقة الجماعات، فكم من بيوت تهدَّمت، وكم من قلوب تبدلت بسبب كلام نمام! لذلك نهى الإسلام عن طاعته وتصديق

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٢) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الآداب، باب في إصلاح ذات البين (٥/٢١٨/ رقم: ٤٩١٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (٣/٩٢٩/ رقم: ٤١١١).

نميمته، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾[١].

والنميمة تطلق في الغالب على نقل قول إنسان في إنسان، مثل أن يقول: قال فيك فلان كذا وكذا[٢].

وبهذا تكون النميمة في مفهومها جزءاً لا يتجزأ من إفساد ذات البين المتقدم ذكره.

وللنمام عقاب برزخي وأخروي، أما العقاب البرزخي فيدل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال: «**إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه لكبير، كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة**»، ثم دعا بجريدة فكسرها بكسرتين أو اثنتين، فجعل كسرة في قبر هذا، وكسرة في قبر هذا، فقال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[٣].

وأما العقاب الأخروي فأشار إليه قوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة قتَّات**»[٤]. والقتات هو النمام[٥].

وهذا وحده كاف في الترهيب والتحذير منها لمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

---

(١) سورة القلم، الآيتان: ١٠، ١١.
(٢) مختصر منهاج القاصدين ص١٧٤.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر (٨/ ٢١).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة (٨/ ٢١).
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٧٣).

* **وللسعي بالنميمة بين الناس عدة دوافع منها ما يلي:**

١ ـ **جهل البعض بحرمة النميمة.**

٢ ـ **التشفّي والتنفيس عمّا في النفس من غل وحسد.**

٣ ـ **مسايرة الجلساء ومجاملتهم** والتقرب إليهم بخبر جديد وأمر يستمعون إليه.

٤ ـ **إرادة إيقاع السوء للمحكي عنه** كنقل الكلام إلى من بيده سلطة أو قوة، ومراده إيقاع الضرر بأي شكل كان.

٥ ـ **إظهار الحب والتقرب للمحكي له**، وكأنه أصبح من أعوانه وأحبابه، فلا يرضى بما قال عنه فلان من الناس بل ينقل إليه كل ذلك، وربما يزيد رغبة في زيادة محبة المنقول إليه.

٦ ـ **اللعب والهزل**، فإنَّ هناك مجالساً تقام على الضحك والهزل ونقل الكلام بين الناس.

٧ ـ **إرادة التصنع ومعرفة الأسرار** والتفرس في أحوال الناس فينم عن فلان ويهتك ستر فلان[1].

وبالنظر إلى تلك الدوافع يتضح أنها بمجملها ما هي إلا كيد من مكايد الشيطان ومداخله على الإنسان؛ ليفرق بين المسلمين ويشتت شملهم، لذلك ينبغي على المسلم أن يحذر حذراً تامًّا من هذا الصنف من البشر لِمَا في مجالسهم من أثر سيئ على دين المسلم.

---

(١) النميمة ص١٥.

وإذا ابتُلي المسلم بجليس نمام فعليه أن يتعامل معه على النحو التالي:

١ ـ **ألا يصدقه**؛ لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾[١].

٢ ـ **أن ينهاه عن ذلك وينصح له**، ويُقَبِّح عليه فعله، قال الله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[٢].

٣ ـ **ألا يظن بأخيه الغائب السوء** لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾[٣].

٤ ـ **ألا يحمله ما حُكِيَ له على التجسس والبحث والتحقيق**، اتباعاً لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾[٤].

٥ ـ **ألا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه**، ولا يحكي نميمته فيقول: فلان قد حكى لي كذا وكذا، فيكون به نماماً ومغتاباً يأتي ما عنه ينهى[٥].

المطلب الرابع: الكذب:

من الخصال الذميمة التي نهى عنها الإسلام خصلة الكذب

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٢.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٢.
(٥) النميمة ص١٧ (باختصار).

لِمَا يجر على صاحبه من وبال، قال ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتَب عند الله كذاباً**»(١).

وقال ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»(٢).

وقال ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(٣).

والنفاق المقصود به هنا هو النفاق العملي دون الاعتقادي، قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: كان يُقَال: النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج، وكان يُقَال: أُسُّ النفاق الذي بني عليه النفاق الكذب(٤).

وقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يخافون على أنفسهم من النفاق أشد الخوف.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه: قال ابن أبي مُليكة:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (٨/ ٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (١/ ١٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (١/ ١٥).

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم (٢/ ٣٣٧).

أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم من أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل، ويذكر عن الحسن: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمِنَه إلا منافق، وما يُحْذَرُ من الإصرار على النفاق والعصيان من غير توبة لقول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1][2].

وكان الحسن يسمِّي من ظهرت منه أوصاف النفاق العملي منافقاً، وروي نحوه عن حذيفة، وقال الشعبي: من كذب فهو منافق[3].

ومما ابتلي به كثير من المسلمين مما يدخل في جملة الكذب ما يلي:

١ ـ **التحدث بكل ما يُسمع**، وقد حذَّر الرسول ﷺ من ذلك لِمَا فيه من ذريعة الوقوع في الكذب، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع**»[4].

٢ ـ **التحدث بالكذب لإضحاك الناس**، وهذا للأسف مما عمَّت به البلوى بين كثير من المسلمين في زماننا، فصاروا يتفننون في ابتكار ما يسمَّى بـ (النكت) المكذوبة لإضحاك الناس، بل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (١/ ١٩).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٤٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، المقدمة، باب النهي عن الكذب بكل ما سمع.

منهم من يصنف المؤلفات لهذا الغرض، نسأل الله العافية.

وقد توعَّد الرسول ﷺ صاحبه بالويل، وهو وادٍ في جهنم لو سُيِّرَت فيه الجبال لماعت[١] ـ والعياذ بالله.

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ويلٌ للذي يحدّث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويلٌ له ويل له**»[٢].

ولم يرخَّص فيما يقوله الناس من الكذب إلا في ثلاث:

١ ـ الإصلاح بين الناس.
٢ ـ الحـــرب.
٣ ـ حديث الرجل امرأته[٣].

لقوله ﷺ: «**ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس، ويقول خيراً، وينمي خيراً**». قال ابن شهاب: ولم أسمع يُرخَّص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٦٨).
(٢) أخرجه الترمذي في سننه (أ: الزهد، باب ما جاء من تكلم بالكلمة ليضحك الناس) (٣/ ٣٨١/ رقم: ٢٤١٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (٢/ ٢٦٨/ رقم: ١٨٨٥).
(٣) فتيا شيخ الإسلام ابن تيمية (مسألة في الغيبة) ضمن ثلاث رسائل في الغيبة ص٣٣ (بتصرف يسير).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب تحريم الكذب (٤/ ٢٠١١/ رقم: ١٠١).

مسألة:

ومن المسائل الملحقة بهذا الباب مسألة المعاريض، ويُقصد بها إرادة المتكلم لكلامه معنى ليس على ما يفهمه المخاطب، أي: أن يعني بكلامه ما يحتمله اللفظ، وإن لم يفهمه المخاطب، وهي كذب باعتبار الأفهام، وإن لم تكن كذباً باعتبار الغاية السائغة، وهي مباحة عند الحاجة الشرعية.

مثالها: قول النبي ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات كلهن في الله: قوله لسارة: أختي، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[1]، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[2]، وهذه الثلاثة معاريض**»[3].

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه: «مات ابن لأبي طلحة، فقال: كيف الغلام؟ قالت أم سليم: هَدَأَ نفسه وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أنَّها صادقة»[4].

المطلب الخامس: التحريش:

التحريش في اللغة: الإغراء بين القوم وكذلك بين البهائم، وتهييج بعضها على بعض كما يُفعل بين الجِمال والكباش والديوك

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٨٩.

(٣) انظر: فتيا شيخ الإسلام ابن تيمية (مسألة في الغيبة) ضمن ثلاث رسائل في الغيبة ص٢٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب المعاريض مندوحة عن الكذب، (٨/ ٥٧).

وغيرها، والتحريش إغراؤك الإنسان والأسد ليقع بقرنه، وحرّش بينهم: أفسد وأغرى بعضهم ببعض[١].

وفي الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**»[٢].

أي في حملهم على الفتن والحروب[٣].

فيزيّن لكثير من الناس سوء عملهم من تحريض وتحريش وإفساد بين المسلمين، مشعلين بذلك نار الفتنة التي تأتي على مشاعر الإخاء والأُلفة بينهم حتى تحيلهم إلى أعداء متخاصمين متنافرين، وبذلك يحققوا أكبر مكسب لأعداء الإسلام الذين يقلق مضجعهم اتحاد المسلمين وتكاتفهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فعلى المسلم أن يفطِن لهذه الحيلة الشيطانية، ويتصدى لها بالإكثار من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ومجاهدة النفس في عدم الاستجابة لوسواسه وتحريشه، والتماس الأعذار للمسلمين في الكثير من الأمور التي توهن رباط الأخوة بين المسلمين، واضعاً نصب عينيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٤].

وقوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه، من

---

(١) لسان العرب، مادة: (حرش) (٢/ ٨٣٤) (بتصرف).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان (٤/ ٢١٦٦/ رقم: ٦٢).
(٣) لسان العرب، مادة (حرش) (٢/ ٨٣٤).
(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[١].

ومن ابتُلي بشيء من آفات اللسان فعليه المبادرة إلى التوبة والتي من شروطها:

١ ـ الإقلاع عن المعصية في الحال.
٢ ـ الندم على فعلها.
٣ ـ العزم على عدم العودة إليها.
٤ ـ ردُّ المظالم إلى صاحبها[٢]، وطلب التحلل ممن أساء إليهم.

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانت له مَظْلَمَة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[٣].

فليبادر المسلم بالاستحلال ممن آذاه بغيبة أو نميمة أو إفساد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٤/١٩٩٦/ رقم: ٥٨).
(٢) انظر: بذل الهمة في طلب براءة الذمة (ضمن ثلاث رسائل في الغيبة) ص٤٠.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل (٣/ ١٧٠).

ذات البين أو تحريش أو غير ذلك، وطلب عفوه طالما في العمر سعة، حتى لا تدركه المَنِيَّة قبل شروعه في التوبة من هذه المعصية، فإنَّ عدم إتيانه بالشرط الأخير يحول دون قبول توبته، والعياذ بالله، فالبدار البدار.

المطلب السادس: الميزان الشرعي في علاج فتنة اللسان:

لم يترك الإسلام صغيرة ولا كبيرة في شئون الحياة إلا وضبطها بميزان شرعي يحقق للمسلمين التوازن في كافة شئونهم الدينية والدنيوية، ومن أبرز الأشياء التي ضبطها الإسلام: اللسان، وذلك تحرزاً من الوقوع في فتنته بمختلف فروعها آنفة الذكر.

فحدَّ لنا رسول الله ﷺ حدًّا عقائديًّا مانعاً من الوقوع في مزالقه من خلال قوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[1].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في سياق شرحه للحديث: «هذا من جوامع الكلم؛ لأن القول كله إما خير وإما شر وإما آيل إلى أحدهما، فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها وندبها، فأذن فيه على اختلاف أنواعه، ودخل فيه ما يؤول إليه، وما عدا ذلك مما هو شر أو يؤول إلى الشر، فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت... وحاصله من كان حامل الإيمان فهو متصف بالشفقة على خلق الله قولاً بالخير، وسكوتاً عن الشر، وفعلاً لما ينفع، أو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (٨/ ١٢٤).

تركاً لما يضر». اهـ.[١].

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قوله ﷺ: «**فليقل خيراً أو ليصمت**» فمعناه أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما تكلم به خيراً محققاً يثاب عليه واجباً أو مندوباً فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين، **فعلى هذا يكون الكلام المباح مأموراً بتركه، مندوباً إلى الإمساك عنه مخافة من انجراره إلى المحرم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيراً أو غالباً**»[٢].

وهذا الميزان الشرعي يحتاج إلى مجاهدة ومحاسبة للنفس مستمرة، حتى يسهل على المرء ترويض لسانه على الإمساك عن الكلام بلا فائدة.

فإن من يطلق العنان للسانه بالكلام بلا ضابط ولا كابح فهو أكثر من غيره عرضة للوقوع في الزلل وفتن اللسان التي تورد صاحبها المهالك كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه المتقدم والذي جاء فيه: «... **وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**»[٣].

الشاهد قوله ﷺ: «**وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»، فاللسان على صغره يتحكم في مصير

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/٤٤٦) (باختصار).
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (الحاشية) (٢/١٩).
(٣) تقدم تخريجه عند ابتداء الحديث عن فتنة اللسان.

صاحبه، لذلك أوصانا ﷺ بحبسه وإمساكه. عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال ﷺ: «**أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك**»[١].

وذُكر عن لقمان الحكيم رحمه الله أنه قال لابنه: من يصحب صاحب السوء لم يسلم، ومن يدخل مدخل السوء يُتَّهم، ومن لا يملك لسانه يندم.

وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: كانوا يقولون إنَّ لسان الحكيم من وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول رجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، وإنَّ الجاهل قلبه على طرف لسانه، لا يرجع إلى قلبه، ما أتى على لسانه تكلم[٢].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

وقال طاوس رحمه الله: لساني سبع، إن أرسلته أكلني[٣].

وتزداد خطورة هذه الفتنة إذا كان محورها دائراً على التكلم في العلماء!! كما تقدم ذكره عند الحديث عن غيبة ولاة الأمر. فهم سادة الأمة وقادتها ونورها، ولا خير في قوم لا يعرفون

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (أ: الزهد، باب: ما جاء في حفظ اللسان) (٤/ ٣٠/ رقم: ٢٥١٧) وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (٢/ ٢٨٧/ رقم: ١٩٦١).

(٢) تنبيه الغافلين (١/ ٢٣٣).

(٣) تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ص٢٣٥.

لعلمائهم قدرهم[١]. فإنَّ لحوم العلماء مسمومة[٢].

ولا وسيلة للتخلص من شراك هذه البلية إلا بكفِّ اللسان تماماً عن الخوض فيهم، والجامع لذلك كله قوله ﷺ: «**من صمت نجا**»[٣].

مما سبق يتضح أن المعيار أو الميزان الشرعي الذي يجب على المسلم أن يزن كلامه به قبل أن يتلفظ به في كل شئونه حتى لا ينزلق في متاهات الفتن المهلكة هو: «**قل خيراً أو اصمت**».

المبحث الثاني: فتنة الخلاف والفرقة:

إنَّ مما ينفطر له الفؤاد ألماً ما أصاب كثيراً من المسلمين من تفرق وخلاف، وامتلأت بسببه صدور بعضهم على بعض بالعداوة والبغضاء، فحسبنا الله ونعم الوكيل، وما ذلك إلا مخالفة لهدي الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[٤].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ على هذه الأعواد أو على هذا المنبر: «**من لم يشكر القليل لم يشكر**

---

(١) انظر: منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم ص١٠.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٩٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (أ: صفة القيامة، باب: ١٦) (٤/ ٧٠/ رقم: ٢٦١٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (٢/ ٣٠٦/ رقم: ٢٠٣١).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»[١].

فالفرقة بجميع أنواعها في الأفكار أو في الأقوال أو في الأعمال عذاب يعذِّب الله جل وعلا به من خالف أمره وذهب إلى غير هداه[٢].

ويوم أن حاد المسلمون عن هذا السبيل وركنوا إلى المبادئ المدمرة والشعارات الجوفاء المفرِّقة، والخلافات المشتتة تمزقوا إرباً وتقطعوا شيعاً، وذهبت ريحهم وضاق فسيحهم، وتحكَّم فيهم الهوى، وتفرَّقت بهم الأهواء؛ فصاروا مطمعاً لأعدائهم، وهان على أحقر الأمم وأقلها شأناً أمرهم، وتألبت الفِرق والمِلل والنِحل عليهم يغزونهم في عقر دارهم، ويقسِّمون ثرواتهم ويستخفون بهم، يُغار عليهم ولا يغارون، ويضامون ولا يدافعون، ويهانون ولا يستشيطون، وقد كانوا بالأمس أهل العزة القعساء، والهمة الشماء، والإقدام العظيم، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون[٣].

المطلب الأول: أسباب الفُرقة والخلاف:

بالنظر إلى ما تقدم ذكره؛ يتضح أن لحدوث الخلاف والفرقة

---

(١) أخرجه أحمد والبزار والطبراني وقال الهيثمي: رجاله ثقات، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ٢١٧)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (ضمن كتاب السنة لابن أبي عاصم) (٢/ ٤٣٥).

(٢) الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن ص٢٦.

(٣) الائتلاف والاختلاف أسسه وضوابطه ص٨.

بين المسلمين أسباباً عدة من أهمها ما يلي:

١ ـ **الابتداع**: فإنَّ البدع هي سبب كل بلاء، وعلة كل فتنة، فقد كان المسلمون أمة واحدة وجماعة واحدة متآلفين على عقيدة واحدة ومنهج واحد، على أيام رسول الله ﷺ ثم في خلافة الخليفة الراشد أبي بكر والخليفة الراشد عمر رضي الله عنهما، وبعد مقتل الخليفة الراشد الثاني رضي الله عنه بدأت الفتنة تطل برأسها، ولا زال أهل الشر يسعون في الغواية حتى قُتِل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، فتوالت الفتن وتتابعت، وبدأت فرق الأهواء والبدع في الظهور، فتفرقت الكلمة وبدأ الانشقاق عن جماعة المسلمين، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

٢ ـ **اتباع الهوى**: حيث إنَّ أصحاب البدع والمعاصي إنَّما يقدمون هوى النفوس على ما في الكتاب والسنة، ثم يستدلون بالشريعة على أهوائهم، بل يحرفون النصوص والأدلة لتوافق ما هم عليه من البدع. من هنا جاءت تسمية السلف الصالح لأهل البدع بـ (أهل الأهواء)[1].

٣ ـ **التخطيط الدقيق والتنظيم الخفي من أعداء الإسلام لبث الفرقة بين المسلمين والتشكيك في مقومات الأمة الإسلامية من خلال الإثارة**، وهؤلاء وأمثالهم من أشد المعاول عملاً في الفتك بالمسلمين والكيد بهم، وبثِّ المبادئ الزائفة والبدع والأهواء

---

(١) الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن ص٤٣٦ ـ ٤٣٨ (باختصار وتصرف يسير).

بينهم.

٤ ـ بُعد المسلمين عن الفهم الصحيح لأصول التشريع الإسلامي والعقيدة الإسلامية الصحيحة بسبب الجهل بأحكام الشريعة وهيمنة البدع والخرافات ودُعاة الشعوذة والقبوريين، وأدعياء الولاية من الصوفية المبتدعة الذين شوَّهوا شرائع الدين وزيَّفوا حقائقه، وحجبوا نور الإسلام الصحيح عن جم غفير من المسلمين البسطاء، وحالوا بينهم وبين منابع الإسلام النقية الصافية.

٥ ـ التشدد أو التنطع المنهي عنه، لقوله ﷺ: «**هلك المتنطعون**»[1]، وإيقاع المسلمين في العنت والحرج في أمور دينهم، فليس بين أمة الآن من التمزق والتشتت مثل ما بين أمتنا، وذلك للأسف بسبب التشدد والتنطع في الدين والتعصب الممقوت من البعض هداهم الله!!

إن التشدد يقصد به التضييق على النفس أو على الناس في الأحكام الشرعية، أو الموقف تجاه الآخرين، أو التعامل معها بما لا تقتضيه قواعد الشرع ومقاصد الدين؛ لأن الدين مبني على الأخذ بالأحكام الشرعية مع مراعاة التيسير ودفع المشقة، والتوسع والأخذ بالرخص في مواطنها، وإحسان الظن بالناس والإشفاق عليهم، ودرء الحدود بالشبهات، والنصح لعامة المسلمين وخاصتهم،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٤/ ٢٠٥٥/ رقم: ٧).

والعفو عن المسيء والتماس العذر له في غير حدود الله تعالى، ومن علامات التشدد: التسرع في إطلاق الأحكام والإكثار من التكفير بما يخرج عن سمت العلماء وحكمهم ورأيهم.

٦ـ تأثر المسلمين بالأفكار والفلسفات الوافدة والاعتماد على الفكر والثقافة والحركة بدعوى التجديد في الدين ومسايرة ركب الحضارة والمدنية، وهذا أمر خطير يهدد بنية الأصول الموروثة من هدي النبي ﷺ وأصحابه والتابعين.

٧ ـ ترك القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمناصحة لولاة الأمور والأئمة وذوي الشأن في الأمة، ووقوع المداهنة في الدين[١].

٨ ـ التعصب للأشخاص تعصباً أعمى بحيث يسلم أولئك المتعصبون بجميع أقوال من يتعصبون إليهم وإن جانبت في بعضها الحق والصواب، بل من الناس من يوالي ويعادي فيهم، وفي ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله، وما اجتمعت عليه الأمة**، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرِّقون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام، أو تلك السنة **ويعادون**» اهـ[٢].

---

(١) الائتلاف والاختلاف أسسه وضوابطه، ص٥٢ ـ ٥٥ (بتصرف).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤).

المطلب الثاني: المخرج من فتنة الخلاف والفُرقة:

بالتأمل في الأسباب السابقة يتضح أن العلاج الناجح لهذه البلية يتلخص في لزوم جماعة المسلمين، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «. . . **عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرَّته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن**»[(١)].

قال ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده! لتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: الجماعة**»[(٢)].

وتفسير الجماعة عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث[(٣)] لذا بوَّب البخاري في صحيحه بقوله: باب قول الله

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه (أ: الفتن، باب: في لزوم الجماعة) (٤/ ٣١٥/ رقم: ٢٢٥٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (٢/ ٢٣٢/ رقم: ١٧٥٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم (٢/ ١٣٢٢/ رقم: ٣٩٩٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند (٢/ ٣٦٤/ رقم: ٣٢٢٦).

(٣) مشكاة المصابيح (١/ ٦١) (هـ٥).

تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[١] وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم[٢].

المبحث الثالث: فتنة التعصب والهوى:

إن مما ابتلي به المسلمون في دينهم في الآونة الأخيرة فتنة التعصب للآراء والأشخاص تعصباً أعمى، بحيث يتشبث المرء بكل ما يصدر ممن يتعصب لهم من آراء، سواء كانت موافقة للحق أو مجانبة له، وفي المقابل يرفض كل من سواهم، ويرد جميع ما لديهم من آراء واجتهادات وإن كانت موافقة للحق، إلا أنها مخالفة لآراء الأشخاص الذين يتعصب لهم، نسأل الله السلامة، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك قريباً.

ومن جهة أخرى هناك من يتعصب لهواه، فمن وافقه بأقواله قبل منه وأثنى عليه ونشر محاسنه بين الناس، أما من عارض هواه ومن قال بما يخالف ذلك الهوى من الناس فإنه يرد ما معه وإن كان حقًّا، ويذمه ويقلل من شأنه بينهم، فنسأل الله العافية.

والتعصب واتباع الهوى صفتان ذميمتان تدلان على قلّة فهم صاحبهما وفقهه وبصيرته.

وللخلاص من هذه الفتنة لابدَّ من التزام ما يلي:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٩/ ١٣٢).

المطلب الأول: التجـرد:

إنَّ المؤمن الحق يتجرد من حظوظ النفس والهوى، ولا يتعصب إلا للكتاب والسنة، ويأخذ بالحق من أي إنسان طالما اتبع الدليل، وهذا هو منهج السلف الصالح.

قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ[١].

فلا يُقدم على قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ، وقول صحابته رضوان الله تعالى عليهم، أي رأي أو اجتهاد.

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

العلم ما قال الله قال رسوله ما ... قال الصحابة هم أولي العرفان
العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فلان[٢]

فإذا تجرَّد المسلم من كل هوى في نفسه سهل عليه بعدئذٍ تقبل الحق من أي إنسان وإن خالف كثيراً مما يراه.

المطلب الثاني: ترك المراء والجدال:

المِراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار الخلل فيه، إما في اللفظ، وإما في المعنى، وإما في قصد المتكلم[٣].

---

(١) فتاوى السبكي (١/ ١٤٨).
(٢) القصيدة النونية الكافية الشافية للفرقة الناجية ص١٦١.
(٣) تهذيب موعظة المؤمنين ص٢٣٨.

وعاقبة المراء أو الجدل بين المسلمين وخيمة، فقد يكون سبباً في الضلالة بعد الهداية والعياذ بالله.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**»[1].

لأن المجادل لا يقصد من جداله إظهار الحق، إنما يقصد التهجم على الطرف الآخر وإظهار نقصه مما يشعل نار الغضب والخصومة بين الطرفين اللذين تجمعهما العقيدة، فتنطلق شرارة الفتنة بينهما، وتلتهم نار الغضب مشاعر المودة والإخاء بينهما، وأي فسادٍ للمجتمع المسلم يقوِّض بنيانه أشد من هذا الفساد.

فليحذر المسلم من المراء والجدل في نقاشه مع أخيه المسلم حول أي قضية، وليكن حواره بنَّاءً قائماً على الأدب الإسلامي الرفيع؛ ليكون كلامه ادعى للقبول والإقناع.

المبحث الرابع: ما قد يقع من جور الأئمة:

من الأمور التي قد يُبتلى بها بعض المسلمين في بعض الأقطار من العالم الإسلامي تسلُّط بعض الولاة عليهم بأي صورة من صور الظلم البشري، فإذا ابتلي شعب ما بوالٍ ظالم فإنَّه لا يحل له بأي حال من الأحوال أن يقابل نار ظلمه بنار الخروج عليه، فإنَّ النار لا تُطفئ النار.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (المقدمة) (١/ ١٩/ رقم: ٤٨). وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند (١/ ١٤/ رقم: ٤٥).

والمنهج الشرعي في ذلك هو (الصبر).

ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**سترون بعدي أموراً تنكرونها**»[١].

وقال ﷺ: «**اصبروا حتى تلقوني على الحوض**»[٢].

وقال ﷺ: «**إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها**، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: **أدّوا إليهم حقَّهم، وسلوا الله حقكم**»[٣].

والأثرة: الانفراد بالشيء المشترك دون من يشركه فيه، والمعنى أنه يستأثر عليهم بما لهم فيه اشتراك في الاستحقاق[٤].

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال نبي الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر فإنّه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية**»[٥].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» (٩/ ٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» (٩/ ٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» (٩/ ٥٩).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٥٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» (٩/ ٥٩).

«اسمع وأطع في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرةٍ عليك وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك»[(١)].

فدلَّت هذه الأحاديث على أن المنهج الشرعي في معاملة الظلمة من حكام المسلمين هو الصبر على ظلمهم وعدم منازعتهم الأمر، بل الدعاء لهم.

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا نرى الخروج على أئمتنا ولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمرّوا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة)[(٢)].

ويوضح الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ **ذلك المنهج فيقول:** (مذهب أهل السنة والجماعة أنَّ الأُمراء الظلمة مشاركون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله، فيصلى خلفهم، ويجاهد معهم، ويستعان بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن حكم منهم بعدل نفذ حكمه، وإن أمكن تولية بر لم يجز تولية فاجر، فيجتهدون في الطاعة بحسب الإمكان كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[(٣)]، فإذا اجتمع صلاح وفساد رجَّحوا الراجح منهما، وقلَّ من خرج على دين سلطان إلا كان ما تولد عن فعله

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (باب: في ذكر السمع والطاعة) (٢/ ٤٩٢/ رقم: ١٠٢٦)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة بالموضع نفسه.

(٢) متن العقيدة الطحاوية ص١١.

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٦.

من الشرِّ أعظم من الخير، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا، وإن كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، وهذا مما يبين أنَّ ما أمر به ﷺ من الصبر على جور الأئمة هو الأصلح، فالشارع أمر كلاً بما هو أصلح له وللمسلمين، فأَمَرَ الولاة بالعدل والنُصح لرعيَّتهم، وأَمَرَ بالصبر على استيثارهم ومنازعتهم الأمر، والفتن في كل زمن بحسب رجاله، والفتنة تمنع معرفة الحق وقصده والقدرة عليه، ففيها من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل، حتى لا يتميز لكثير من الناس، ومن الشهوات ما يمنع قصد الحق، ومن قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير، ولهذا يقال: فتنة عميا صما) اهـ[١]. عياذاً بالله.

فعلى المسلم في أي بقعة على وجه الأرض أن يتقي الله عز وجل في معاملة الحكام، وأن يحذر كل الحذر من الانزلاق في متاهات الفتن، وأن يتذكر أن النصر عاقبة الصبر.

قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قِبَل سلطانهم صبروا، ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه، ووالله ما جاءوا بيوم خير قط ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟[٢] وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾[٣].

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ملحق المصنفات ص٥٠، المسألة رقم ٧٣ من المسائل التي لخصها الشيخ محمد بن عبدالوهاب من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٣) الشريعة ص٣٨.

الفصل الثاني: فتن دنيوية

المبحث الأول: فتنة المال (الغنى والفقر):

أولاً فتنة الغنى:

جعل الله المال في هذه الحياة زينة لها، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[١].

فهو وسيلة إلى تحقيق المآرب وقضاء الحوائج ونيل المقاصد، فإما أن يكون مصدراً للسعادة وإما مصدراً للشقاوة، والعياذ بالله، فإن استخدمه صاحبه في الخير سعد، وإن استخدمه في الشر شقي، وكان فتنة ووبالاً عليه.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية: أي اختباراً وابتلاءً من الله لخلقه؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه[٣].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لكل أمة فتنة، وفتنة**

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٦.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم (٨/ ١٦٥).

أمتي المال»[١].

ومن دلائل الافتتان بالمال ما يلي:

١ ـ **الرياء في الإنفاق**: إذا أنعم الله تعالى على عبده بالمال وجب عليه أن يؤدي حق الله عز وجل فيه من الزكاة، وأن يبادر إلى الصدقة والإنفاق في سبيل الله شكراً لله عز وجل على هذه النعمة العظيمة، ولكن إذا شاب هذا الإنفاق شائبة رياء أو سمعة فإن المال والحالة هذه سيكون فتنة ووبالاً على صاحبه، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحبُّ أن**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (أ: الفتن، باب: ما جاء أن فتنة هذه الأمة المال) (٣/ ٣٨٩/ رقم: ٢٤٣٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٧٣/ رقم: ١٩٠٥).

يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليُقال هو جواد، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»[١].

٢ ـ الانشغال به عن ذكر الله: لمَّا كان قلب الإنسان لا يخلو من الانشغال بمحبة الأموال كانت مصدر فتنة له[٢] فصاحب المال تجده في شغل شاغل ألهاه ماله عن ذكر الله ـ إلا من رحم الله ـ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[٣].

مشغول بجمعه ونمائه حتى يستحوذ على جُلِّ وقته واهتمامه، والبائس من استعبدته أمواله فصار مملوكاً لها تتحكم فيه وتسيطر على تصرفاته وتحركاته بل ومشاعره أيضاً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسُه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (٣/١٥١٣/ رقم: ١٥٢).

(٢) انظر: الفتن ص١٢٥.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٩.

استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشفَّع»[١].

وأصدق مثال على تعاسة صاحب المال ما ذكره الله تعالى عن قارون في محكم التنزيل، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٢].

ففي هذه الآيات يخبر الله تعالى عن حالة قارون الذي كان من بني إسرائيل الذين فُضِّلوا على العالمين، فانحرف عن سبيل قومه وطغى، وقد أعطاه الله الأموال الكثيرة حتى إن مفتاح خزائن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٤/ ٤١).

(٢) سورة القصص، الآيات: ٧٦ ـ ٨٢.

أمواله تثقل الجماعة القوية عن حمله وهو مفتاح فكيف بالخزائن؟!

وقد نصحه قومه محذرين له عن الطغيان بألا يفرح بهذه الدنيا العظيمة؛ فإن الله لا يحب الفرحين بها المنكبين على محبتها، وأن يتصدق ويبتغي ما عند الله، ولا يقتصر على مجرد نيل الشهوات، ولا يتكبر ويشتغل بالنعيم عن المنعم، إلا أن قارون ردَّ نصيحتهم بكفره بنعمة الله عليه وتعليله في حصوله على هذه الأموال إلى كسبه وحذاقته فيه.

فردَّ الله عليه مبيناً أن عطاءه ليس دليلاً على حسن حالة المعطَى بأن الله الذي أهلك قروناً قبله لا مانع له من إهلاك قروناً أخرى تنحى نحوها، إلا أن قارون لم يزل مستمراً على عناده وبغيه وعدم قبول نصيحة قومه فرحاً بطراً.

فخرج يوماً بحالة أرفع ما تكون من أحوال دنياه، جمعت زينة الدنيا وزهرتها وبهجتها فرمقته العيون، وانقسم فيه الناظرون قسمين: قسم تعلقت إرادتهم فيها وصارت منتهى رغبتهم حتى صدقوا أنه ذو حظ عظيم، بينما أنكر الذين عرفوا حقائق الأشياء ونظروا إلى باطن الدنيا مقالهم ذاك، مبينين أن لذة العبادة في الدنيا والجنة في الآخرة خير مما تمنوا من دنيا، فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر بغته الله عز وجل بعذاب من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله أنزله الله أسفل سافلين هو وما اغتر به من داره ومتاعه، فاعتبر الذين أرادوا الحياة الدنيا وأيقنوا بأن بسط الله لقارون في الرزق ليس دليلاً على خير فيه، ولولا فضل الله ومنته

لنالهم الله من عقابه على ما قالوا، فصار هلاك قارون عقوبة له وعبرة وموعظة لغيره[١].

٣ ـ **الكسب الحرام والإنفاق الحرام**: إن من أسوأ دلائل الافتتان بالمال كسبه من أوجه محرَّمة وما أكثرها، ومنها على سبيل المثال: الربا، الرشوة، السرقة والاختلاس، الاتجار بالمحرمات، الغش، التطفيف، ومن ذلك عدم انضباط الموظف في أوقات دوامه مع استيفائه لمرتبه بتمامه.. وغير ذلك.

ووجه الافتتان هنا عدة أمور منها:

أ ـ **منع إجابة دعائه إذا دعا**، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[٢] **وقال**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[٣] **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا رب! يا رب! ومطعَمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام فأنَّىٰ يستجاب لذلك**»[٤].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦/ ٥٦ ـ ٦١).
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب (٢/ ٣٠٧/ رقم: ٦٥).

ومن ذا الذي يستغني عن مناجاة رب العالمين في أمور الدنيا والدين؟!.

ب ـ **الحساب**: وما أدراك ما الحساب! عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»(١).

فليعد صاحب المال لهذا السؤال جواباً ينال به رضا الله عز وجل طالما أنه في فسحة من العمر والعمل.

٤ ـ **البخل**: إن من الرزايا العظيمة التي قد يصاب بها صاحب المال البخل في العطاء حتى لا يكاد يؤدي حقوقه التي أمره الله تعالى بها من زكاة وصدقة، بل يبخل حتى على نفسه وأهله وعياله فلا ينفق عليهم إلا اللمم، وما ذلك إلا دليلاً على تملك حب الدنيا والإقبال عليها في نفس البخيل مع الإدبار عن تذكر الآخرة والعمل لها، وهو ناتج عن ضعف الإيمان في القلب وقلة خشيته لله.

وقد توعَّد الله البخلاء في بذل الأموال يوم القيامة بأشد العذاب، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (أ: صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص) (٤/ ٦٣٦/ رقم: ٢٥٣٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (٢/ ٢٩٠/ رقم: ١٩٧٠).

هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1].

٥ ـ **الإسراف**: إنَّ السيولة المادية كثيراً ما تدفع بصاحبها إلى الإسراف ومجاوزة الحد في الإنفاق، والناظر إلى حال كثير من الناس يدرك ذلك جيداً، ويكفي في التحذير من مغبة الإسراف قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2].

ثانياً: فتنة الفقر:

إذا كانت وفرة المال تعرض صاحبه للفتن، فإنَّ قلَّة ذات اليد أيضاً لا تخلو من ذلك.

فالفقر والغِنى كلاهما يمثلان خطورة على دين المسلم إذا لم يتق الله عز وجل.

ومن دلائل الافتتان في الفقر:

١ ـ **عدم الصبر على ابتلاء الفقر**: وذلك بالتسخط والتشكي وربما عدم الرضا والاعتراض على قضاء الله عز وجل، فالفقر مصيبة كبيرة يجب على من ابتلاه الله بها أن يصبر عليها، شأنه شأن غيره من البلايا.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[1].

٢ ـ **التطاول على مال الغير**: إن عدم الرضا بما قضى الله به من فقر وفاقة قد تدفع بصاحبها إلى أن يمد عينيه وربما يديه إلى ما متَّع الله به غيره من أموال، فيقع فريسة للشيطان الذي يغويه حتى يقع في الحسد والاحتيال والسرقة والسطو. وأثر ذلك على صاحبه وخيم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**»[2].

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة**»، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «**وإن كان قضيباً من أراك**»[3].

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٢) جزء من حديث تقدم تخريجه عند الحديث عن (الغيبة) من الفصل السابق.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم (١/١٢٢/ رقم: ٢١٨).

٣ ـ إراقة ماء الوجه: إن قلة ذات اليد تجر إلى المسألة وطلب الناس إلا من رزقه الله العفاف كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[١].

وكثرة سؤال الناس قد تدفع صاحبها إلى اعتياد هذا الأمر حتى مع الاستغناء، وهنا مكمن الخطر ومؤشر الافتتان، قال ﷺ: «**من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار**... ـ فقيل: يا رسول الله، وما يغنيه؟ قال: **قدر ما يغديه ويعشيه**»[٢].

تنبيـــه:

إن مما يجدر التنبيه إليه هنا أن فتنة المال واقعة بالإنسان لا محالة، إلا أن الواجب على كل مسلم أن يتحصن من هذه الفتنة بتقوى الله عز وجل ومراقبته فيه، واللجوء إلى الله عز وجل بالاستعاذة به جل شأنه من فتنة الفقر والغنى اقتداءً بالنبي ﷺ، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ومن عذاب النار، وأعوذ بك من**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

(٢) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة، وحد الغنى (٢/ ٢٨٠/ رقم: ١٦٢٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (١/ ٣٦/ رقم: ١٤٣٥).

فتنة القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة الغِنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»[١].

المبحث الثاني: فتنة النساء:

المرأة بكل ما وهبها الله تعالى من خصائص وصفات تستطيع أن تكون مصدر فتنة لكثير من الرجال إذا لم تتق الله عز وجل، بل إن الفتنة بها أشد من غيرها، قال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[٢].

فالفتنة بالمرأة مرض فتّاك يفتك بقلب الرجل كما يفتك السرطان بالبدن إذا لم يتداركه الله بعفوه وتوفيقه[٣].

وتزداد الفتنة اشتعالاً إذا أضفت المرأة على نفسها شيئاً من التبرج، فحينئذٍ تكون الفتنة أعظم والمحنة أكبر[٤].

المطلب الأول: الحجاب:

لقد جاء الشارع الحكيم بعدة تدابير للحيلولة دون حدوث الفتنة بالنساء من أهمها: الأمر بالحجاب، حيث أمر الله تعالى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من فتنة الغنى (٨/ ١٠٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة (٤/ ٢٠٩٨/ رقم: ٩٨).

(٣) انظر تفسير قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ لفضيلة الشيخ ابن عثيمين ص٢٦.

(٤) انظر: يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تخدعي ص٨٠.

المرأة المسلمة بالحجاب عن الرجال الأجانب حفاظاً عليها وصيانة لكرامتها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

والجلباب هو الرداء فوق الخمار، وهو بمنزلة الإزار اليوم[3]، أو العباءة[4]، والخمار ما يخمر به، أي: يُغطى به الرأس، وهي التي تسميها الناس المقانع[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.
(٢) سورة النور، الآية: ٣١.
(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٧٠) (مختصراً).
(٤) انظر: رسالة الحجاب (ضمن مجموعة رسائل في الحجاب والسفور) لفضيلة الشيخ ابن عثيمين ص٨٨.
(٥) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٨).

وهكذا دلَّت الآيتان الكريمتان على وجوب الحجاب على المرأة المسلمة عن الرجال الأجانب على الهيئة التالية:

١ ـ **ارتداء الجلباب الساتر السابغ فوق الثياب**، وهو أقرب ما يكون وصفه بالعباءة السوداء التي ترتديها النساء اليوم.

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها»[(١)].

٢ ـ **ارتداء الخمار على الرأس وتغطية الوجه به**، لأنه إذا كانت المرأة مأمورة بأن تضرب بالخمار على جيبها كانت مأمورة بستر وجهها، إما لأنه من لازم ذلك أو بالقياس، فإنه إذا وجب ستر النحر والصدر كان وجوب ستر الوجه من باب أولى؛ لأنه موضع الجمال والفتنة[(٢)].

٣ ـ **الابتعاد عن مظاهر الزينة مطلقاً** إلا ما ظهر منها كظاهر الثياب، ولذلك قال: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ولم يقل: ما أظهرن منها، شمل ذلك لبس الخلاخل ونحوها مما تتحلى به المرأة للرجل[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٧١).
(٢) انظر: رسالة الحجاب ص٨٣.
(٣) انظر تفصيل ذلك في رسالة الحجاب ص٨٤، ٨٥.

وقد ذكر الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ للحجاب الشرعي شروطاً دقيقة ينبغي على المرأة المسلمة مراعاتها عند خروجها من بيتها وهي:

أ ـ استيعاب جميع البدن.

ب ـ ألا يكون زينة في نفسه.

جـ ـ أن يكون صفيقاً لا يشف.

د ـ أن يكون فضفاضاً غير ضيق.

هـ ـ ألا يكون مبخراً مطيباً.

و ـ ألا يشبه لباس الرجل.

ز ـ ألا يشبه لباس الكافرات.

حـ ـ ألا يكون لباس شهرة[١].

المطلب الثاني: الأمر بالقرار في البيت:

إن خير حجاب للمرأة بعد حجاب وجهها وجسمها باللباس هو بيتها[٢] وذلك أن العديد من المخالفات الشرعية النسائية كالاختلاط بالرجال والتبرج والسفور، إنما تتولد عن كثرة خروج النساء من بيوتهن، لذلك سدَّ الإسلام هذه الذريعة بأمر النساء بالقرار في البيت وعدم الخروج منه لغير حاجة أو مصلحة، قال

---

(١) انظر تفصيل ذلك في جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ص٣٩، وما وراءها.

(٢) خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله (ضمن رسالة حكم تارك الصلاة وفتن المجلات) ص٦.

تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ...﴾[١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسيرها**: «أي إلزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية: الصلاة في المسجد بشرطه»[٢] كما قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن تفلات**»[٣].

فإذا كانت الخيرية في ترك المرأة للخروج من بيتها للصلاة في المسجد وهي طاعة وعبادة تتقرب بها المرأة إلى الله عز وجل، فإن تركها للخروج لِمَا دون ذلك من أمور الدنيا أولى.

والتعود على القرار في البيت يحتاج إلى جهاد كبير من المرأة لنفسها، وترويض لها عليه طاعة لله عز وجل، شأنه شأن سائر الطاعات التي يجاهد المسلم نفسه عليها إرضاءً لله عز وجل.

ويحتاج إلى بيئة أسرية صالحة تعوِّد المرأة منذ طفولتها على ملازمتها للبيت وعدم الخروج منه إلا لحاجة وبالضوابط الشرعية، حتى تنشأ مرتبطة ببيتها ملازمة له، تأبى مفارقته لغير حاجة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٥٠).

(٣) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد، (١/ ٣٨١/ رقم: ٥٦٥)، وفي رواية: «... **وبيوتهن خير لهن**» (رقم: ٥٦٧)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند: حسن صحيح (١/ ١١٣/ رقم: ٥٢٩)، وعن الرواية الأخرى: صحيح، الموضع نفسه (رقم: ٥٣٠).

متصدية بذلك لمكائد الشيطان الذي ما برح ينصب شراكه حولها، فبمجرد خروجها من بيتها يتصيدها ليغويها ويغوي بها حتى لكأنه يحركها بيده يمنة ويسرة وإلى الأمام والخلف ويثير حولها أفاعي الفتنة[١].

ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[٢].

ومتى خالفت المرأة آداب الإسلام وتساهلت بالحجاب وبرزت للرجال مزاحمة متعطرة غاض ماؤها، وقل حياؤها، وذهب بهاؤها؛ فعظمت بها الفتنة، وحلّت بها الشرور والنقمة[٣].

ومن صور التبرج التي يزيّنها الشيطان للنساء عند خروجهن من البيت: كشف الوجه أو ظهوره من وراء غطاء شفاف، أو ظهور العينين وجزء من الوجه من خلال النقاب، أو لبس الملابس الضيقة، أو المفتوحة أو القصيرة، أو الشفافة، وإبرازها من وراء حجاب غير ساتر[٤] بالإضافة إلى التعطر، والخلوة بالرجل الأجنبي، والخضوع معه في القول، وغير ذلك من الأمور المحرمة

---

(١) انظر: فتنة النساء ص٢٦.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (أ: الرضاع) (١/ ٣١٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (١/ ٣٤٣/ رقم: ٩٣٦).

(٣) انظر: رسالة المرأة في خطر (ضمن رسالة حكم تارك الصلاة وفتن المجلات) ص٢٤.

(٤) للاستزادة انظر ٧٠ مخالفة تقع فيها النساء يجب الحذر منها ص٢٢.

والتي يتسبب في حدوثها كثرة خروج النساء من بيوتهن مع قلة مراقبتهن لله عز وجل.

فلتتق الله الأخت المسلمة في نفسها، وتراقبه جلَّ وعلا في تصرفاتها، ولتستجب لأوامره تعالى، فلا تخرج من بيتها إلا لحاجة، وإن خرجت التزمت بحجابها الشرعي الساتر حتى لا تكون سبباً لفتنة كثير من الرجال.

المبحث الثالث: فتنة البنين:

إن من أحب نعم الله تعالى إلى النفوس: نعمة الأولاد، فهم زينة الحياة وبهجتها.

قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[1].

ولكن هذه النعمة لا تعدو كونها مصدر فتنة لصاحبها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2]، أي: اختبار وابتلاء من الله لخلقه؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه[3]، فهناك من الناس من يتقي الله عز وجل في نعمة الأولاد، ويعهد إليهم بالتربية الصالحة والتنشئة الإسلامية حتى يشبوا أفراداً صالحين، فيكونوا عوناً لوالديهم على طاعة الله عز وجل، ومنهم

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٦.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم (٨/ ١٦٥).

من يهمل جانب التربية الإسلامية ويترك لأولاده الحبل على الغارب حتى يكونوا مصدر تعاسة وشقاء وفتنة لوالديهم والعياذ بالله.

لذلك قال عز وجل في الآية التي تسبقها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

وللعداوة في هذه الآية أوجه منها:

١ ـ أنه يتلهى بهم عن العمل الصالح.
٢ ـ أنهم يحملونه على قطيعة الرحم أو معصية ربِّه، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعهم[٢].

وللحذر من الوقوع في حبائل هذه الفتة ينبغي على الوالدين تحري الجانبين التاليين:

المطلب الأول: الاحتساب:

إذا أدرك المسلم المفهوم الشامل للعبادة كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «**العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**»[٣].

عُلم أن كل عمل دنيوي يعمله يدخل في دائرة العبادة إذا احتسب فيه الأجر من الله تعالى، ومن جملة تلك الأعمال

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١٤.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ١٦٥).
(٣) العبودية ص٣٨.

الدنيوية: رعاية وتربية الأولاد.

ومن نِعَم الله تعالى على عبده أن يوفِّقه إلى الاحتساب وطلب الأجر والثواب منه عز وجل على ذلك، ولا يتضجر ويتذمر من مسئولية الأهل والأولاد إلا محروم، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: صدقة جارية، أو علم يُنْتَفَع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

وقال ﷺ: «**إن الرجل لترفع درجته يوم القيامة فيقول: أَنَّىٰ لي هذا؟ فيُقال: باستغفار ولدك لك**»(٢).

فإذا استشعر الوالدان هذا الفضل العظيم بذلا قصارى جهدهما في سبيل تربية أبنائهما تربية سليمة؛ ليشبوا على الاستقامة والصلاح فينتفعا في حياتهما ببرهم، وبعد مماتهما بدعائهم واستغفارهم لهما، محتسبين الأجر من الله تعالى على مشقة وعناء الرعاية والتربية.

فالأم فضَّلها الله على الأب وخصَّها بثلاث درجات كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: مَنْ أحقُّ الناس بحُسن صحابتي؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الوصايا، باب الصدقة على الميت (٣/ ٣٠٠/ رقم ٢٨٨٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٥٥٧/ رقم: ٢٥٠٤).

(٢) أخرجه أحمد وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٦٣/ رقم: ١٦١٣).

مَنْ؟ قال: «أمك»، قال: ثم مَنْ؟ قال: «أمك»، قال: ثم مَنْ؟ قال: «أبوك»[١].

لِمَا تتحمله وتبذله من جهود مضاعفة عن الأب في الحمل والوضع والرضاعة والرعاية والتربية، **فإذا احتسبت في إرضاعها وإطعامها لأطفالها ومباشرتها رعايتهم والسهر على راحتهم وملاحظتهم وتمريضهم وملاعبتهم وتدريسهم ومصادقتهم وحل مشكلاتهم... وغير ذلك؛ هانت عليها مشاق ذلك كله، بل إن تلك المتاعب ستتحول إلى لذَّة ومتعة إذا استشعرت أنها مأجورة على كل قول وفعل تبذله لأبنائها الصغار والكبار.**

وكذا الأب الذي يقع على كاهله العبء الأكبر في السعي والكد والتماس أسباب الكسب الحلال؛ ليؤدي واجب الإنفاق على أهل بيته، إذا احتسب في عمله وتعبه واستشعر أن كلَّ ما ينفقه على زوجته وأولاده مأجور عليه هانت عليه متاعب العمل وصعابه.

ومن أبرز الأمور التي تستلزم الاحتساب فيها ما يلي:

١ ـ **الإنفاق**: ففي الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع من وجعٍ أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله، بلغني ما ترى من الوجع، وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا»، قال: قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: «الثلث والثلث

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر، باب بر الوالدين (٤/ ١٩٧٤/ رقم: ١).

كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك»... الحديث[١].

بل إنَّ الأجر على النفقة على الأهل أعظم من الأجر على الإنفاق في سبيل الله، أو عتق الرقبة، أو الصدقة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي تصدقت به على أهلك**»[٢].

وفي رواية عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله**»، قال أبوقلابة: وبدأ بالعيال، ثم قال أبو قلابة: وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار يُعفهم أو ينفعهم الله به ويغنيهم[٣].

وعلى النقيض من ذلك مَنْ يمسك يده عمن ولاّه الله أمرهم، ويبخل عليهم بالنفقة، توعَّده الله وعيداً شديداً قال ﷺ: «**كفى**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث (٣/ ١٢٥٠/ رقم: ٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب فضل النفقة على العيال والمملوك (٢/ ٦٩٢/ رقم: ٣٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب فضل النفقة على العيال والمملوك (٢/ ٦٩٢/ رقم: ٣٨).

بالمرء إثماً أن يحبس عمّن يملك قوته»[١].

فدلَّت هذه الأحاديث على الحث على النفقة على العيال وبيان عظم الثواب في ذلك[٢].

والواجب على المسلم أن يبسط يده لأهل بيته وعياله، فينفق ويغدق عليهم المال الذي يسدُّ احتياجاتهم في مأكلهم ومشربهم وملبسهم وتعليمهم وغير ذلك، حتى لا يحتاجون شيئاً، وأن تكون لهم الأولويات في العطاء على سائر أوجه الخير والبر التي قد يُبادر إليها، فإذا كان الإنفاق في سبيل الله، وعتق الرقبة والصدقة على الفقراء والمساكين مفضولة على ما فيها من الأجر العظيم والثواب الجزيل، فإنَّ الفاضل عليها في الأجر والثواب وهو الإنفاق على الزوجة والعيال حتماً هو أسلم الطرق إلى رضاء الله عز وجل أعلى ما يتمناه المسلم.

ولا يُرجح الفاضل على المفضول إلا مَنْ وفَّقه الله تعالى إلى الهمة العالية التي تحلق بصاحبها دوماً إلى المعالي، وهذا يتطلب التزود بجرعات كبيرة من الاحتساب وابتغاء المثوبة من الله وحده دون مَنْ سواه في كل مال ينفقه على عياله قليلاً كان أو كثيراً حتى يخرج منه المال بنفس راضية قانعة.

٢ ـ **إنجاب البنات**: ومما ينبغي للأب الاحتساب فيه: إنجابه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، في الموضع نفسه (٢/ ٦٩٢/ رقم: ٤٠).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ٨١) الحاشية.

للبنات، فمن الآباء مَنْ يفرح بقدوم الأبناء الذكور ولا يفرح بالإناث! بل منهم من يكره الإناث وقد يغضب من زوجته وربما طلَّقها إذا أنجبت الإناث دون الذكور!! وكأنَّ الأمر بيدها أو بيده! وما ذلك إلا سمتاً جاهليًّا مقيتاً، فالأمر كله لله الخالق البارئ، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[(١)].

فإذا استشعر ذلك الأب أن بناته نعمة عظيمة اختصَّه الله تعالى بها ليَنال بسببهن خيراً وفيراً وفضلاً عظيماً قد لا يحظى به إن لم يرزقه الله إياهن، فشكر الله تعالى على هذه النعمة، واستبشر بها واحتسب الأجر منه عز وجل على رعايته لبناته وتربيتهن التربية الإسلامية كان من الفالحين الذين بشَّرهم الرسول ﷺ بالخير العظيم.

ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**من ابتُلي من البنات بشيء فأَحْسَن إليهن كن له ستراً من النار**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**من عالَ جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو**» وضمَّ أصابعه[(٣)].

---

(١) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب فضل الإحسان إلى البنات (٤/ ٢٠٢٧/ رقم: ١٤٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب فضل الإحسان إلى البنات (٤/ ٢٠٢٨/ =

والسبيل إلى ذلك الفضل هو الاحتساب في طلب الثواب على تربيتهن من الله عز وجل.

٣ ـ **موت الأولاد:** ومن أعظم ما ينبغي على الوالدين الاحتساب فيه: موت الأولاد، فالولد ـ ذكراً كان أو أنثى ـ فلذة كبد الوالدين تمشي على الأرض، وقطعة منهما، بوجوده ازدانت حياتهما وامتلأت بهجة وحبوراً، ومماته من أعظم المصائب والبليات التي تعصف بالوالدين وتزلزل مشاعرهما حتى لكأنها تشعل في الفؤاد ناراً، وتفجر من الدموع بركاناً لا يطفئ لهيبها إلا ماء الاحتساب وابتغاء الأجر والثواب عليها من الله تعالى، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجاباً من النار أو دخل الجنة**»[(١)].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله قال لنسوة من الأنصار: «**لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة**» فقالت امرأة منهن: أو اثنتين يا رسول الله؟ قال: «**أو اثنتين**»[(٢)].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمين**

= رقم: ١٤٩).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين (٢/ ١٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٤/ ٢٠٢٨/ رقم: ١٥١).

يموت بينهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله بفضل رحمته وإياهم الجنة، قال: يُقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل آباؤنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم»[(١)].

وعن حمّاد بن سلمة عن أبي سنان ـ يعني عيسى بن سنان القسملي ـ قال: دفنت ابني سناناً وأبوطلحة الخولاني جالس على شفير القبر، فلمّا أردت الخروج أخذ بيدي فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان؟ قلت: بلى، قال: حدثني الضحاك بن عبدالرحمن بن عرزب عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات ولد العبد قال الله عز وجل لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، سموه بيت الحمد**»[(٢)].

وهكذا دلَّت الأحاديث السابقة على أن ثواب صبر العبد على فقد الأولاد جزيلاً، وأجره في ميزانه يوم القيامة ثقيلاً[(٣)]، مما يهوِّن على الوالدين إذا ابتليا بذلك وقع المصيبة عليهما ويكسيهما

---

(١) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب من يتوفى له ثلاثة (٤/ ٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي باختصار السند (٢/ ٤٠٥/ رقم: ١٧٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي (أ: الجنائز، ب: فضل المصيبة إذا احتسب) (٢/ ٢٤٣/ رقم: ١٠٢٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (١/ ٢٩٩/ رقم: ٨١٤).

(٣) انظر: برد الأكباد عن فقد الأولاد ص٦٦.

حلية الرضا بالقضاء والقدر.

المطلب الثاني: احتواء الأبناء عاطفياً ونفسياً ومادياً:

إن الأبناء من الجنسين خاصة في مرحلة الشباب يتعرضون في العصر الحديث إلى العديد من الفتن والتحديات والتيارات المعاكسة لاتجاه التربية الإسلامية، فما يبنيه البيت ومن ثم المدرسة من قيم ومبادئ فاضلة في سنوات، قد يهدمه رفقاء السوء في سويعات، فيفتنونهم ويدفعونهم إلى دياجير الانحراف والفساد دفعاً.

لذلك ينبغي على الوالدين التصدي لخطر قرناء وقرينات السوء باحتواء الأبناء احتواءً كاملاً، وإروائهم عاطفياً ونفسياً ومادياً، وتكوين صداقات حميمة معهم حتى لا يتركوا لقرناء السوء فراغاً في نفوس أبنائهم يتسللون إليهم من خلاله.

ومن أهم جوانب هذا الاحتواء ما يلي:

١ ـ **الإشباع العاطفي**: وذلك بإغداق مشاعر الحب والعطف والحنان عليهم، فإنَّ عدداً من الآباء والأمهات يتوهمون أن الطفل وحده هو الذي يحتاج إلى جرعات من الحب والحنان، وهذا خطأ تربوي فادح، فالأبناء يظلون بحاجة مُلِحَّة إلى الإرواء العاطفي حتى في مرحلة المراهقة والشباب.

ولكن باعتدال، فالإسراف في إبداء مشاعر الحب يؤدي إلى الميوعة والدلال، والشح بها أيضاً يدفع إلى الحقد والعنف، وكلا الأمرين

يعدان فتنة للأبناء؛ لأنهما يسيران بهما إلى سلوك غير سوي.

ولم يكن أحد أرحم من الرسول ﷺ بالأولاد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أَتُقَبِّلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم. فقالوا: لكنَّا والله ما نُقَبِّل، فقال رسول الله ﷺ: «**وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة**»[(١)].

٢ ـ **العدل والمساواة**: وكما دعا ﷺ إلى الرحمة بالأولاد قولاً وعملاً دعا إلى العدل بينهم في كل شيء[(٢)].

فإن العدل بين الأبناء مما يعزز الناحية العاطفية لديهم، إلا أن بعض الآباء والأمهات ـ هداهم الله ـ لا يعدلون بين أبنائهم في المعاملة، ويميِّزون بعضهم عن بعض، فمنهم من يفضِّل الذكر على الأنثى، ومنهم من يميِّز الصغير عن الكبير... وهكذا، ويعاملونهم تبعاً لذلك بتفاوت ملحوظ في العطاء المادي والمعنوي، وبهذا الأسلوب يفتن الآباء أبناءهم، ويدفعوهم لتصرفات اندفاعية متهورة غير مسئولة تجاه بعضهم البعض، بل إن عدم العدل بين الأبناء من أكبر أسباب تحطيم نفسيات الأبناء وتدميرهم؛ لذلك حذَّر النبي ﷺ من هذا الفعل.

ففي الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال وهو على المنبر: أعطاني أبي عطيةً، فقالت عمرة بنت رواحة: لا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال (٤/١٨٠٨/ رقم: ٦٤).

(٢) الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة ص١١.

أرضى حتى تُشْهِد رسول الله ﷺ، فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأَمَرَتْني أن أُشْهِدك يا رسول الله، قال: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**» قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»(١).

وفي رواية مسلم: قال: انطلق بي أبي يحملني إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أشهد أني قد نحلت النعمان كذا وكذا من مالي، فقال: «**أكُلّ بنيك قد نحلت مثل ما نحلت النعمان؟**» قال: لا، قال: «**فأَشْهِد على هذا غيري**»، ثم قال: «**أيَسُرّك أن يكونوا إليك في البِرّ سواء؟**» قال: بلى، قال: «**فلا إذاً**»(٢).

وهكذا دلّ الحديثان على أن مَنْ فرّق بين أبنائه في العطاء فقد زرع بذرة الثمرة المُرّة بينهم! ولا ينتظر بعدئذٍ ممن حرمه منهم أن يكون بارًّا به كما يجب أو على الأقل بارًّا به بالقدر الذي يتمناه ذلك الأب(٣).

فإن الحرمان يولد الجفاء، لذلك لا يحل لأي أب أن يفضِّل بعض أولاده على بعض في العطاء؛ لِمَا يترتب على ذلك من زرع العداوة بينهم، كما يلزمه العدل بينهم في الهدايا والهِبات، وفي الملابس والأدوات، وفي المداعبة والقبلات بل والنظرات(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة (٣/ ٢٠٦).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبات، (٣/ ١٢٤٣/ رقم: ١٧).
(٣) انظر: التربية في الإسلام ص٢٠٤.
(٤) انظر: الطفل في الشريعة الإسلامية ص٢٢٨.

وذلك حرصاً على تحقيق التربية النفسية والعاطفية الصحيحة للأبناء التي تهدف إلى تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة والمتزنة[١].

فإن العواطف إذا تناسقت وانتظمت أكسبت صاحبها تكاملاً في شخصيته[٢] بحيث يكون عنصراً بنّاءً فعّالاً في المجتمع.

٣ ـ **تفرغ الأب لأبنائه**: ومن الأمور التي تحقق الاحتواء للأبناء: تفرغ الأب لأبنائه ولو بعض الشيء.

فينبغي له أن يخصص وقتاً يجلس فيه إلى زوجته وأولاده، يؤنسهم، ويسليهم، ويعلّمهم، ويؤدّبهم، ويقصُّ عليهم القصص الهادفة[٣].

ويستمع إلى آمالهم وآلامهم فيحقق لهم رغباتهم، ويحل مشكلاتهم، ويبدد أتراحهم أفراحاً لينال محبة الله عز وجل، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**أحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله**»[٤].

فحاجة الأبناء لتواجد آبائهم معهم ملحّة جداً لتحقيق التوافق النفسي والسلوكي، فالآباء الذين يقتربون من أبنائهم ويحسون

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام (١/ ٢٩٩).
(٢) انظر: لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها ص٢١١.
(٣) انظر: واجبات الآباء نحو الأبناء ص٢٣.
(٤) حديث حسن، انظر: الجامع الصغير وزيادته (١/ ١٠٩/ رقم: ١٧٠).

بوجودهم، ويجلسون معهم ويفتحون بينهم باب الحوار؛ تستقيم طباع أبنائهم، وتستقر نفسياتهم، وتصلح تربيتهم ـ بإذن الله ـ أما الآباء الذين تشغلهم أعمالهم عن أبنائهم ينشأ أبناؤهم وقد اسودَّت الدنيا في وجوههم، واضطربت نفسياتهم، فيتنكبوا جادة الصواب ويبتعدوا عن الحق والطريق المستقيم، فيكرهوا والديهم، وربما يهربوا من بيوتهم فينحدروا في مزالق الجريمة والفساد[١].

وهكذا تتعاظم مسئولية الآباء خاصة في هذا الزمان الذي تلاطمت فيه أمواج الفتن، واشتدت غربة الدين، فالأب مع أبنائه بمثابة راعي الغنم في أرض السباع الضارية إن غفل عنها أكلتها الذئاب[٢].

كفارة هذه الفتن:

إن العمل الصالح يكفر فتن الإنسان الدنيوية بمختلف صورها، وقد جمع ﷺ في حديث طويل فتنة الأهل والمال والولد ذاكراً كفارتها فقال ﷺ: «. . . **فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفِّرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**. . .» الحديث[٣].

* * *

(١) انظر: واجبات الآباء نحو الأبناء ص٢٣.

(٢) انظر: تذكير العباد بحقوق الأولاد ص٩.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر (٩/ ٦٨).

الباب الثالث

الفتن المقبلة

الفصل الأول: فتنة الهرج.
الفصل الثاني: فتنة الدجال.
الفصل الثالث: فتنة الممات.
الفصل الرابع: فتنة القبر.

الباب الثالث: الفتن المقبلة

الفصل الأول: فتنة الهرج

من فتن آخر الزمان التي بيَّنها الرسول ﷺ: كثرة الهرج بين الناس.

والهرج: هو القتل، كما فسّره قوله ﷺ: «**إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل، ويُرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل**»(١).

ولكثرة تفشي الهرج بين المسلمين في آخر الزمان لا يدري القاتل ولا المقتول ما سبب القتل!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قُتل**» فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «**الهرج، القاتل والمقتول في النار**»(٢).

والمنهج الشرعي في مواجهة هذه الفتنة إذا ادلهمَّت بين المسلمين يتلخص في الأمور التالية:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن (٩/ ٦١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى... (٤/ ٢٢٣١، ٩/ ٦١/ رقم: ٥٦).

المبحث الأول: اعتزال الفتنة:

إذا اشتعلت نار الفتنة بين المسلمين وصار يقتل بعضهم بعضاً، وسالت دماؤهم الغالية التي حقنها الإسلام فأهدروها، فالسلامة للمسلم حينئذٍ تكمن في الفِرار منها واعتزالها وأهلها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرَّف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به»**[(١)].

ومعنى تشرَّف لها: تطلَّع لها بأن يتصدى ويتعرض لها ولا يُعْرِض عنها.

وتستشرفه: أي تهلكه، بأن يشرف منها على الهلاك، وحاصله أن من طلع فيها بشخصه قابلته بشرها، ومن خاطر فيها بنفسه أهلكته.

أما قوله: **«فليعذ به»** فمعناه: فليعتزل فيه ليسلم من شرِّ الفتنة[(٢)].

مما يدل على أن شر هذه الفتنة يصيب المرء بحسب ما يدخل فيها ويتعلق بها[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب تكون فتنة... (٩/ ٦٤).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٣١).

(٣) انظر: تعليق الدكتور رضا الله المباركفوري على السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها للداني (١/ ٢٤٤) الحاشية.

وقد حثَّ النبي ﷺ عندما تَدْلَهِمّ الفتن على الفرار منها والاشتغال برعي الأغنام طلباً للعيش.

قال ﷺ: «**يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم، يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر، يفرُّ بدينه من الفتن**»(١).

والهدف من اعتزال تلك الفتنة هو الحذر من الوقوع في العاقبة الوخيمة التي توعَّد الله بها المسلمون إذا تقاتلوا، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار**» قيل: فهذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه أراد قتل صاحبه**»(٢).

وأي خسران من أن يبذل الإنسان دمه وحياته ثمناً بخساً للتعاسة والشقاء! ولكنها الفتنة التي تعمي وتصم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فاللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

لذلك سدَّ الإسلام تلك الذريعة بتحريمه مجرد رفع السلاح على المسلم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب العزلة راحة من خلاط السوء (٨/ ١٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما (٩/ ٦٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح» (١/ ٩٨/ رقم: ١٦١).

لأن فتنة الهرج إذا انطلقت شرارتها بين المسلمين استمر حريقها مندلعاً إلى قيام الساعة، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة**»(١).

المبحث الثاني: كسر السيوف:

من لم يتيسر له الاعتزال والفرار من الفتن، والاشتغال برعي الأغنام كما أرشد إليه ﷺ، فلا أقلَّ من اجتناب القتال فيها، وللتأكيد على ذلك أَمَرَ النبي ﷺ بكسر السيوف في الفتنة.

قال ﷺ: «**إنَّها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنةٌ، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا إذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه**»، فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيدُقُّ على حدِّه بحجر، ثم لينجُ إن استطاع النجاة، اللهم هل بلَّغت، اللهم هل بلَّغت**»، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أُكرهت حتى يُنْطَلَق بي إلى أحد الصفّين، أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (أ: الفتن، باب: ما جاء في اتخاذ سيف من خشب) (٣/ ٣٣٢/ رقم: ٢٢٩٨) وقال: هذا حديث صحيح، كما صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (٢/ ٢٤١/ رقم: ١٧٩٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع =

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل: المراد بكسر السيف حقيقة على ظاهر الحديث؛ ليسد على نفسه باب هذا القتال، وقيل: هو مجاز، والمراد ترك القتال، والأول أصح[١].

وكان رأي ابن عمر رضي الله عنهما ترك القتال في الفتنة ولو ظهر أنَّ إحدى الطائفتين محقّة والأخرى مبطلة[٢].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خيرٍ من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فكسِّروا قسيَّكم وقطِّعوا أوتاركم، واضرِبوا سيوفكم بالحجارة، فإن دُخِل على أحدكم فليكن كخير ابني آدم**»[٣][٤].

وقال ﷺ: «**إذا رأيت الناس يقتتلون على الدنيا، فاعمد بسيفك إلى أعظم صخرة في الحرة، فاضربه بها حتى ينكسر، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو**

= القطر) (٤/ ٢٢١٢/ رقم: ١٣).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ٩) الحاشية.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٧).

(٣) يقصد قوله تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٢٨].

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب التثبت في الفتنة) (٢/ ١٣١٠/ رقم: ٣٩٦١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند (٢/ ٨٠٢/ رقم: ٣٥٨٢).

منية قاضية»[١].

ومن شدة حرص الرسول ﷺ على اعتزال الفتن وترك القتال فيها وكسر السيوف، أمر في حال الفتنة باتخاذ سيف من خشب! لضمان عدم الاشتراك فيها.

ففي الحديث أن رسول الله ﷺ عهد إلى أهبان بن صيفي الغفاري رضي الله عنه: «**إذا اختلف الناس أن اتخذ سيفاً من خشب**»[٢].

المبحث الثالث: حفظ اللسان عن الخوض فيها:

إذا كان القتال في الفتن وحمل السيف فيها من عوامل إذكاء وإضرام نارها بين المسلمين؛ فإنَّ وَقْع الكلمة فيها لا يقل خطورة عن وَقْع السيف، فقد يتفوَّه المرء بالكلمة لا يُلقي لها بالاً تكون سبباً لهلاكه والعياذ بالله كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يرى بها بأساً فيهوي بها في نار جهنم سبعين خريفاً**»[٣].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٣٠٠).

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه (أ: الفتن، باب: ما جاء في اتخاذ سيف من خشب) (٣/ ٣٣٢/ رقم: ٢٢٩٩)، وقال فيه: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح سنن الترمذي باختصار السند (٢/ ٢٤١/ رقم: ١٩٧٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٢/ ١٣١٣/ رقم: ٣٩٧٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند (٢/ ٣٥٨/ =

لذلك أكَّد ﷺ على ضرورة حفظ اللسان في الفتن، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذَكَرَ الفتنة فقال: «**إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم، وخفَّت أماناتهم وكانوا هكذا**» وشبَّك بين أصابعه، قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك! جعلني الله فداك؟ قال: «**الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة**»(١).

وفي الأثر عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «**إياك والفتن، لا يشخص لها أحد، فوالله ما شخص منها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن، إنها مشبهة مقبلة حتى يقول الجاهل: هذه تشبه مقبلة وتتبين مدبرة، فإذا رأيتموها فاجتمعوا في بيوتكم، واكسروا سيوفكم، وقطِّعوا أوتاركم، وغطُّوا وجوهكم**»(٢).

وعن أبي الطفيل قال: قال حذيفة رضي الله عنه: «كيف أنت وفتنة خير أهلها فيها كل غني خفي، قال: قلت: والله ما هو إلا عطاء أحدنا ثم نطرح ها هنا وها هنا، ونرمى كل مرمى، قال: أفلا

= رقم: ٣٢٠٦).

(١) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي (٤/٥١٣/ رقم: ٤٣٤٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (٣/٨١٩/ رقم: ٣٦٤٩).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، كتاب الفتن والملاحم، باب إياك والفتن... (٤/٤٤٨) ووافقه الذهبي في تلخيصه بالموضع نفسه.

تكون كابن اللبون لا ركوبة فتركب، ولا حلوبة فتحلب»[(١)].

وقد يقول قائل: إن ظاهر هذه الأدلَّة التعارض مع مبدأ الدفاع عن النفس الذي شرعه الإسلام.

والجواب عن هذه الشبهة بأن يُقال:

لا تعارض بين مبدأ الدفاع عن النفس، ومبدأ اعتزال الفتنة وكف اليد واللسان عنها، فإن الدفاع عن النفس مشروع في غير أيام الهرج، أما أيام الهرج فالمشروع فيها كف اليد واللسان، ولزوم البيت، وإذا دخل على المسلم أحد في بيته من أهل الفتنة، فإنه مأمور بأن يكون كخير ابني آدم، والله أعلم[(٢)].

وخير للمرء في حال الفتنة إذا اعتزلها، وكسر سيفه حتى لا يشترك فيها، وحفظ لسانه عن الخوض فيها، فكفَّ بذلك يده ولسانه عنها، وفرَّ إلى البادية واشتغل برعي الماشية فيها كما دلَّت عليه مجمل الأحاديث السابقة؛ أن ينصرف بالإضافة إلى ذلك إلى العبادة لِمَا فيها من ثواب عظيم، قال ﷺ: «**العبادة في الهرج كهجرة إلي**»[(٣)].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجها، كتاب الفتن والملاحم، باب الآيات بعد المائتين (٤/٤٣٩)، وصححه الذهبي في تلخيصه بهامش المستدرك بالموضع نفسه.

(٢) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (١/٤٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فضل العبادة في الهرج (٤/٢٢٦٨/ رقم: ١٣٠).

والدعاء من خير ما تجابه به الفتن، فإنه أفضل العبادة كما جاء في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«أفضل العبادة الدعاء»**[١].

وفي الأثر عن حذيفة رضي الله عنه قال: يأتي زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغرق[٢].

على هذا المنهج السديد ينبغي للمسلم أن يسير في زمن الفتن فيفر منها أشد من فراره من الأسد، ولسان حاله يقول: النجاة النجاة، السلامة السلامة، فإن الندامة كل الندامة في الخوض فيها باليد أو اللسان، فلا مكان حينئذٍ للأمر والنهي، نسأل الله السلامة.

ومما ينبغي التنبه إليه:

أن الفرار إلى البادية والعزلة لا تكون إلا مع فتنة الهرج وكثرة القتل بين المسلمين لأجل الدنيا، أما في حالة قتال المسلمين لغيرهم من أعداء الدين لنصرة دين الله وإعلاء كلمته فلا عزلة ولا فِرار ولا تولي، بل يجب والحالة هذه المبادرة إلى الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته ونصرة دينه سعياً وراء إحدى الحسنيين، النصر أم

---

(١) أخرجه ابن سعد، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٥١/ رقم: ١١٢٢).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، كتاب الفتن والملاحم، باب يأتي عليكم زمان... (٤/ ٤٢٥)، ووافقه الذهبي في تلخيصه بالموضع نفسه.

الشهادة، بل إن التولي حينئذٍ يكون من الموبقات المهلكات؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله، وما هي؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات**»(١).

ومن ناحية أخرى فإن من يستدلّ بأحاديث العزلة في غير حال الفتنة فيفرُّ إلى البراري بدعوى التفرغ للعبادة؛ إنما ينهج نهج الصوفية، أما أهل السُّنَّة والجماعة فيعلمون أن مخالطة الناس والقيام بواجب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أفضل الطاعات، قال ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»(٢).

فلا يصح أن ينزل المسلم أحاديثَ الرسول ﷺ آنفة الذِكْر في فضل العزلة في غير موضعها الذي خُصِّص لها، وهو حال فتنة القتل والهرج بين المسلمين بعضهم البعض، والله تعالى أعلم بالصواب(٣).

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب السحر (٧/ ١٧٦).
(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٢/ ١٣٣٨/ رقم: ٤٠٣٢) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند (٢/ ٣٧٣/ رقم: ٣٢٥٧).
(٣) للاستزادة، انظر: الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن (ص٥٢، ٥٣).

الفصل الثاني: فتنة الدجال

وهي من أعظم فتن آخر الزمان التي تموج بعقول أولي الألباب! نسأل الله السلامة.

قال ﷺ: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**»، وفي رواية: «**أمر أكبر من الدجال**»[١].

المبحث الأول: علامات الدجال:

للدجال علامات عديدة ورد ذِكْرها في بعض الأحاديث منها:

حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدمُ سبطُ الشعر ينطفُ أو يهراقُ رأسه ماء، قلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم، ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل جسيم أحمر، جعد الرأس، أعور العين، كأنَّ عينه عنبةٌ طافية، قالوا: هذا الدجال أقرب الناس به شبهاً ابنُ قطن رجل من خزاعة**»[٢].

وحديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال (٤/ ٢٢٦٦/ رقم: ١٢٦، ١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٩/ ٧٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٩/ ٧٥).

وعن ربعي بن حراش رَحِمَهُ اللَّهُ قال: اجتمع حذيفة وأبومسعود رضي الله عنهما، فقال حذيفة رضي الله عنه: «لأنا بما مع الدجال أعلم منه، إن معه نهراً من ماء ونهراً من نار، فأما الذي ترون أنه نارٌ ماءٌ، وأما الذي ترون أنه ماءٌ نارٌ، فمن أدرك ذلك منكم فأراد الماء فليشرب من الذي يراه أنه نار، فإنه سيجده ماءً». قال أبومسعود: هكذا سمعت النبي ﷺ يقول[١].

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه كافر، ثم تَهَجَّاهَا «ك ف ر» يقرؤه كل مسلم**»[٢].

وحديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدجال أعور العين اليسرى جُفال[٣] الشعر، معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار**»[٤].

وهكذا ينبغي على المسلم أن يحرص على معرفة مثل هذه الأحاديث التي تعطي تصوراً واضحاً عن علامات الدجال ليحتاط

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٥٠/ رقم: ١٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٤٨/ رقم: ١٠٣).

(٣) جفال الشعر: أي كثيره، [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (جفل)] (١/ ٢٨٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٤٨/ رقم: ١٠٤).

لدينه، ويكون على بصيرة من أمره.

المبحث الثاني: ثواب من يُقْتَل على يد الدجال:

إذا اشتعلت نار هذه الفتنة واختلفت أحوال الناس فيها بين مقبل ومدبر، يُثَبِّت الله عز وجل بفضله مَنْ يشاء من عباده المخلصين. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال فيتوجه قِبله رجلٌ فتلقاه المسالحُ**[1]، **مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أَوَمَا تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربِّنا خفاءٌ، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه، قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس! هذا الدجال الذي ذكره الرسول ﷺ، قال: فيأمر الدجال به فيشج**[2]. **فيقول: خذوه وشجُّوه. فيوسع ظهرُه وبطنُه ضرباً. قال: فيقول: أَوَمَا تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرَّق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين. ثم يقول له: قُمْ فيستوي قائماً، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه. فيُجعل ما**

---

(١) **المسالح**: قوم معهم سلاح يرقبون في المراكز كالخفر سموا بذلك لحملهم السلاح (صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ٧٢)، الحاشية).

(٢) **شج**: بالجيم المشددة من الشج وهو الجرح في الرأس (صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ٧٣) الحاشية.

بين رقبته إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار. وإنما ألقي في الجنة» فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»[١].

وللعصمة من شر فتنة المسيح الدجال عدة تدابير ينبغي على المسلم المبادرة إليها ما دام في العمر فسحة وفي الأمر سعة، من أهمها:

المطلب الأول: الاستعاذة بالله من فتنة الدجال في الصلاة:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: «كان يدعو في الصلاة، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المَأْثَم والمَغْرَم»[٢]، فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم، قال: «إن الرجل إذا غرم حدَّث فكذب، ووعد فأخلف»[٣].

وعنها رضي الله عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب صفة الدجال (٤/٢٢٥٦/ رقم: ١١٣).
(٢) المغرم: الدين (فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/٣١٩).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام (١/٢١١).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام (١/٢١١).

وتتأكد الاستعاذة بعد التشهد الأخير قبل السلام كما جاء في قوله ﷺ: «إذا تشهَّد أحدكم فليتعوذ من أربع: من عذاب جهنم، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال، ثم يدعو لنفسه بما بدا له»[1].

المطلب الثاني: حفظ الآيات العشر الأُول من سورة الكهف:

وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[2].

لحديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حَفِظَ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال»... وقال شعبة رحمه الله: من آخر الكهف، وقال همّام رحمه الله: من أول

---

(١) أخرجه النسائي في سننه، كتاب السهو، باب نوع آخر من التعوذ في الصلاة (٤/٥٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي باختصار السند (١/٢٨٢/ رقم: ١٢٤٢).

(٢) سورة الكهف، الآيات: ١ ـ ١٠.

الكهف[١].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتتن بالدجال، وكذا في آخرها قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ...﴾[٢] الآية[٣].

وعن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال: «**إنْ يخرج وأنا فيكم! فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، فإنَّها جواركم من فتنته**» قلنا: وما لبْثه في الأرض؟ قال: «**أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم**» قلنا: يا رسول الله، هذا اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: «**لا، اقدروا له قدره، ثم ينزل عيسى ابن مريم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لُدٍّ فيقتله**»[٤].

فليحرص المسلم على الاستعاذة بالله من فتنة المسيح الدجال في كل صلاة اتباعاً لسنة الرسول ﷺ، وعلى حفظ العشر آيات

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (١/ ٥٥٥/ رقم: ٢٥٧).

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٩٣) الحاشية.

(٤) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال (٤/ ٤٩٦/ رقم: ٤٣٢١). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (٣/ ٨١٥/ رقم: ٣٦٣١).

الأول من سورة الكهف وتحفيظها لأبنائه ومن ولاّه الله أمرهم، وكذا المعلمين والمعلمات ينبغي لهم أن يحثّوا الطلبة والطالبات على حفظها وتشجيعهم على ذلك بالمسابقات والأنشطة المتضمنة لحفظها، مستشعرين بذلك قوله ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**»(١).

وقوله ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»(٢).

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام:

عدم مقدرة الدجال على دخول مكة والمدينة.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقبٌ من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها، فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة... (٤/٢٠٦/ رقم: ٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة... (٤/٢٠٦/ رقم: ١٥).

ومنافق»[١].

وعنه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق**»[٢].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل المدينة رعب المسيح لها، يومئذٍ سبعة أبواب على كل باب ملكان**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»[٤].

فما أجدرنا أخي المسلم أختي المسلمة إلى الأخذ بالتدابير السابقة تحرزاً من الوقوع في براثن هذه الفتنة، فما يدريك لعلها دنت أو أوشكت ساعتها، ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى.

* * *

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب قصة الجساسة (٤/ ٢٢٦٥/ رقم: ١٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، (٩/ ٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٩/ ٧٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة (٩/ ٧٦).

الفصل الثالث: فتنة الممات

لكل بداية نهاية.. ولكل أجل كتاب.. فإذا جاء أجل الإنسان كُلِّف ملك الموت بنزع روحه من جسده حتى يفارق هذه الدنيا مقدماً بين يديه أعماله فيها.. تاركاً وراءه قلوباً حزينة.. وأعيناً باكية.. وألسناً داعية.. ثم تمضي الأيام حتى تكون سيرته مجرد ذكريات عابرة.. وبعدئذٍ يطويها ستار النسيان فلا يكاد الناس يذكرونه إلا لمماً.. والسعيد من قدَّم لنفسه في حياته عملاً صالحاً ينفعه بعد مماته، كما في قوله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

وقوله ﷺ: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علَّمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه من بعد موته**»(٢).

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الوصايا، باب الصدقة عن الميت (٣/ ٣٠٠/ رقم: ٢٨٨٠). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (٢/ ٥٥٧/ رقم: ٢٥٠٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (المقدمة، باب: ثواب معلم الناس الخير) (١/ ٨٨/ رقم: ٢٤٢). وحسَّنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند (١/ ٤٦/ رقم: ١٩٨).

ومما كان النبي ﷺ يستعيذ بالله منه في الصلاة قبل السلام: فتنة الممات[١].

قال الإمام النووي رحمه الله: واختلفوا في المراد بفتنة الموت، فقيل: فتنة القبر، وقيل: يحتمل أن يُراد بها الفتنة عند الاحتضار[٢].

ومما يدل على هول فتنة الموت وشدة ما يتعرض له المحتضر عند نزع الروح: حديث عائشة رضي الله عنها الذي ذَكَرَت فيه احتضار النبي ﷺ فقالت: إنَّ رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء ـ يشك عمر ـ فجعل يُدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله، إنَّ للموت سكرات**»، ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتى قُبِضَ ومالت يده[٣].

فإذا كان هذا حال الحبيب المصطفى ﷺ عند احتضاره، فكيف بسائر المسلمين؟ أسأل الله عز وجل أن يهوّن علينا سكرات الموت.

وللسلامة من فتنة الممات أسباب من أبرزها:

المبحث الأول: تلقين المحتضر الشهادتين:

فإن المحتضر ساعة احتضاره يكون في كرب ما بعده كرب،

---

(١) تقدم نص الحديث وتخريجه عند الحديث عن فتنة الدجال.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٥/ ٨٥) الحاشية.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت (٨/ ١٣٣).

وأي كرب أشد من نزع الروح من الجسد؟ فهو في ذلك الوقت العصيب يحتاج إلى من يذكِّره بكلمة التوحيد علّها تكون آخر زاد يتزود به في رحلة العمر، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله**»[١].

وليس التلقين ذكر الشهادة بحضرة الميت وتسميعها إياه، بل هو أمره بأن يقولها خلافاً لِمَا يظن البعض[٢]، وذلك بأن يطلب من يحضر احتضار الميت منه أن يقول بلسانه كلمة «**لا إله إلا الله**».

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من الأنصار فقال: «**يا خال، قل لا إله إلا الله، فقال: أخال أم عم؟ قال: لا بل خال، وخير لي أن أقولها؟ قال: نعم**»[٣].

قال الإمام النووي رحمه الله: والأمر بهذا التلقين أمر ندب، وأجمع العلماء على هذا التلقين، وكرهوا الإكثار عليه والموالاة، لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه فيكره ذلك بقلبه ويتكلم بما لا يليق، قالوا: وإذا قاله مرة لا يكرر عليه إلا أن يتكلم بعده بكلام آخر فيعاد التعريض به ليكون آخر كلامه[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله (٢/ ٦٣١/ رقم: ١).

(٢) أحكام الجنائز وبدعها ص١٠.

(٣) أخرجه أحمد وأبويعلى والبزار وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) (٢/ ٣٢٥).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٢١٩) الحاشية.

ذلك أن الشيطان قد يعرض للمحتضر فيؤذيه في دينه، وقد يستولي عليه فيضله في اعتقاده[١] فيختم له بسوء والعياذ بالله.

وقد خُذل خلق كثير عند الموت، فمنهم من كفر، ومنهم من اعترض وتسخط، نعوذ بالله من الخذلان، وهذا معنى سوء الخاتمة، وهو أن يغلب على القلب عند الموت الشك أو الجحود فتُقبض النفس على تلك الحالة، ودون ذلك أن يتسخط بالأقدار[٢].

وهذا من تخبط الشيطان للمحتضر عند احتضاره عياذاً بالله، لذلك كان ﷺ يستعيذ بالله من تخبط الشيطان عند الموت، ففي الحديث عن أبي البشير رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من التردِّي والهدم والغرق والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً**»[٣].

ومما لابدَّ من التنبيه إليه في هذا المقام:

أنَّ التلقين يكون للمحتضر ساعة احتضاره فقط، أما إذا فاضت روحه وفارق الحياة فلا يُلقن قبل ولا أثناء ولا بعد

---

(١) انظر: الثبات عند الممات ص٥٧.

(٢) انظر: الثبات عند الممات ص٧٨.

(٣) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من التردي والهدم (٨/ ٢٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي باختصار السند (٣/ ١١٢٣/ رقم: ٥١٠٤).

الدفن[١] كما أنَّ ما يفعله بعض الناس عند المحتضر من تلقين الميت الإقرار به ﷺ وبأئمة أهل البيت عليهم السلام، وقراءة سورة ﴿ يسّ﴾ عليه، ووضع المصحف عند رأسه، وتوجيهه إلى القبلة وغير ذلك من الأمور المبتدعة في الدين[٢]، فلا يجوز فعل أي منها أو غيرها إلا بما يوافق الدليل من الكتاب والسنة، وعليه فإنّ ما قد يفعله البعض من التهليل ورفع الصوت به عند المحتضر ليس هو إصابة السنة، إنما السنة أمره بأن يقول «**لا إله إلا الله**» كما مرَّ قريباً، وا تعالى أعلم بالصواب.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا:

أنه في آخر سويعات العمر تشتد حاجة المحتضر إلى من يذكِّره بالخير الذي قد تشغله عنه شدة الموت وسكراته.

ومن أهم ما ينبغي تذكير المحتضر به ساعة احتضاره، حُسن الظن بالله تعالى، ففي الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل**»[٣].

وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال تعالى: أنا عند حسن ظن عبدي بي، إن ظن**

---

(١) راجع أحكام الجنائز وبدعها ص١٥٥.
(٢) انظر: أحكام الجنائز وبدعها ص٢٤٣، وانظر: الموت عظاته وأحكامه ص٢١.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت (٤/٢٢٠٦/ رقم: ٨٢).

خيراً فله، وإن ظن شرًّا فله»[١].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: «**كيف تجدك؟**» قال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف**»[٢].

ومن الأسباب المعينة على حسن الظن بالله في ساعة الاحتضار ما يلي:

١ ـ **تذكير المحتضر برحمة الله عز وجل ومغفرته** حتى تهفو نفسه إلى لقاء الله تعالى، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءَه، ومن كَرِه لقاء الله كَرِه الله لقاءَه**» فقيل له: يا رسول الله، كراهية لقاء الله في كراهية لقاء الموت، فكُلنا يكره الموت، قال: «**لا، إنما ذلك عند موته، إذا بُشِّر برحمة الله ومغفرته أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإذا بُشر بعذاب الله كره لقاء الله، وكره الله لقاءه**»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٤/ ١١٥/ رقم: ٤١٩١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له (١/ ١٤٢٣/ رقم: ٤٢٦١). وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند (٢/ ٤٢٠/ ٣٤٣٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد (١/ ١٤٢٥/ رقم: ٤٢٦٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند (٢/ ٤٢١/ رقم: ٣٤٣٩).

٢ ـ تذكيره بمحاسن عمله ليقوى قلبه بذلك، ويزداد إقباله على الله عز وجل، فقد جاء عن بعض السلف رحمهم الله أنهم كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته؛ لكي يحسن الظن بربِّه عز وجل[١]؛ لأن هذا التذكير للمحتضر بأعماله الصالحة يجعله يغلِّب جانب الرجاء في رحمة الله عز وجل على جانب الخوف من عذابه سويعة احتضاره.

ومنهم من يتحدث ببعض أعماله تعبيراً عن حسن ظنه بالله تعالى، عن عطاء بن السائب رَحِمَهُ اللَّهُ قال: دخلنا على أبي عبدالرحمن نعوده، فذهب بعض القوم يرجيه فقال: أنا لا أرجو ربِّي وقد صمت له ثمانين رمضان[٢].

٣ ـ تذكيره بعاقبة من قال كلمة (لا إله إلا الله) ليمتلئ قلبه بالرجاء، فيحسن الظن بالله، ويبادر إلى ترديدها.

قال ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة**»[٣].

المبحث الثاني: ثواب من كان آخر كلامه (لا إله إلا الله):

من علامات حسن خاتمة العبد أن ييسر الله له ساعة احتضاره النطق بكلمة (لا إله إلا الله) قبيل خروج روحه من جسده، وها هنا

---

(١) انظر: الثبات عند الممات ص٦٩ ـ ٧٠.

(٢) الثبات عند الممات ص٧٠.

(٣) أخرجه البزار وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥/٣٣٢/ رقم: ٦٣٠٩).

البشارة الكبرى والفرحة العظمى التي لا تضاهيها بشرى ولا فرحة لمن وفقه الله تعالى لذلك.

ففي الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[١].

فيا لفرحة المسلم حين يلقى الله عز وجل بلا إله إلا الله، ويا لسعادته حين يختم بها أجله، ويا لفوزه حين تقوده إلى جِنان الخُلد.

أسأل الله عز وجل أن يوفقني وجميع المسلمين والمسلمات إلى التفوّه بها حينئذٍ، لتكون هذه الكلمة آخر عهدنا بالدار الفانية آمين.

* * *

(١) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الجنائز، باب في التلقين (٣/٤٨٦/ رقم: ٣١١٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (٢/٦٠٢/ ٢٦٧٣).

الفصل الرابع: فتنة القبر

بعد الرحيل ومفارقة الحياة تبقى في انتظار المسلم آخر فتنة تعرض عليه وهي فتنة القبر:

ففي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد، فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، وجلسنا حوله وكأنَّ على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثاً، فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**»، مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر**» ثلاثاً، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نَزَلَ إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأنَّ وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية: المطمئنة) اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السِقاء، فيأخذها (وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفُتِحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم)، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى**

يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[١] ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدَت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون ـ يعني بها ـ على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيِّعه من كل سماء مقرَّبوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٢]، فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أُعيدهم، ومنها أُخرجهم تارة أخرى، قال: فيُرَدُّ إلى الأرض وتُعاد روحه في جسده.

قال: فإنه يسمع خَفْقَ نِعال أصحابه إذا وَلّوا عنه مدبرين، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينتهره، فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦١.
(٢) سورة المطففين، الآيات: ١٩ ـ ٢١.

وجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1]، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: وفي رواية: (يتمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح) فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً في معصية الله فجزاك الله خيراً، ثم يُفتح له باب من الجنة وباب من النار، فيُقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجِّل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيُقال له: اسكن.

قال: وإن العبد الكافر، (وفي رواية: الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نَزَل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد، سود الوجوه، معهم المسوح من النار، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب، فيلعنه كل ملك بين السماء

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

والأرض، وكل ملك في السماء، وتُغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قِبلهم، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمَّى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[1]، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، ثم يُقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أُخرجهم تارة أخرى، فتُطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2]، فتُعاد روحه في جسده، قال: فإنه ليَسمع خَفْقَ نِعال أصحابه إذا وَلّوا عنه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيُقال محمد! فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون ذاك! قال: فيُقال:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الحج، الآية: ٣١.

لا دريت ولا تلوت، فينادي منادٍ من السماء: أنْ كَذَبَ، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويضيّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه (وفي رواية: ويمثل) له رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمت إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله، فجزاك الله شرًّا، ثم يُقَيَّض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة! لو ضُرِبَ بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يُفْتَح له باب من النار، ويُمَهَّد من فرش النار، فيقول: رب لا تقم الساعة»[1].

ووجه الافتتان في فتنة القبر هو سؤال الملكين في ذلك المكان الضيِّق المظلم الموحش حيث لا جليس ولا أنيس، من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ أعظم ثلاثة أمور تدور حولها حياة المسلم يُسْأَل عنها في كلمات موجزة، وفي رهبة الموقف تتيه الكلمات ولا يملك الإجابة السديدة على تلك الأسئلة إلا من وَفَّقه الله تعالى وثبَّته، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ

(١) أخرجه أحمد وغيره، انظر: تخريج الشيخ الألباني للحديث في أحكام الجنائز وبدعها ص١٥٩.

﴿ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[١].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أقعد المؤمن في قبره أُتِي به، ثم شَهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[٢]»**[٣].

أسأل الله عز وجل أن يثبتني وإياكم ووالدينا وجميع المسلمين والمسلمات بالقول الثابت في الحياة وعند الممات وبعد الممات.

فقد كان ﷺ يكثر من الدعاء بالثبات. عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُكْثِر من أن يقول: **«يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك»** قال: **«نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلِّبها كيف يشاء»**[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو: **«ربِّ أعني ولا تُعِن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويسِّر هُداي إليَّ، وانصرني على من بغى عليَّ،**

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (٢/ ١٢٢).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (أ: القدر، باب ما جاء في أن القلوب بين إصبعي الرحمن (٣/ ٣٠٤/ رقم: ٢٢٢٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (٢/ ٢٢٥/ رقم: ١٧٣٩).

اللهم اجعلني لك شاكراً، لك ذاكراً، لك راهباً، لك مطواعاً، إليك مُخْبِتاً ـ أو منيباً ـ ربِّ تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبِّت حُجَّتي، واهد قلبي، وسدِّد لساني، واسلل سخيمة قلبي»[(١)].

ومما يلزم التذكير به في هذا المقام أن على أهل الميت بعد وفاته التزام الأمور التالية:

١ ـ عدم النياحة ورفع الصوت بالبكاء على الميت؛ لأنَّه يُعَذَّب في قبره بذلك.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشتكى سعد بن عُبادة رضي الله عنه شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقَّاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم، فلمَّا دخل عليه فوجده في غاشية أهله قال: «**قد قضى**» قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلمَّا رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا فقال: «**أفلا تسمعون، إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يُعَذِّب بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أو يرْحَم، وإن الميت يُعَذَّب ببكاء أهله عليه**»[(٢)].

ذكر الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أن من أهل العلم من تأوَّل معنى

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا أسلم (٢/ ١٧٥/ رقم: ١٥١٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (١/ ٢٨٢/ رقم: ١٣٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض (٢/ ١٠٦).

الحديث على من وصَّى بأن يُبْكى ويُنَاح عليه بعد موته فَنُفِّذَت وصيته، فهذا يُعَذَّب ببكاء أهله ونياحهم عليه؛ لأنه بسببه، ومنه من تأوَّل ذلك على مَنْ لم يوص بترك النياحة ورفع الصوت بالبكاء عليه، فمن ناح عليه أهله من غير وصية لهم منه بذلك، أو من فعل ذلك منهم رغم وصيته لهم بتركه؛ فلا يعذب في قبره إذ لا صنع له فيه، ولا تفريط منه في ذلك.

وحاصل هذا القول إيجاب الوصية بترك النياحة عليه، ومن أهملها ـ أي الوصية بذلك ـ عُذِّب بها[١] ـ أي بالنياحة عليه من قِبَل أهله ـ والله تعالى أعلم بالصواب.

٢ ـ **قضاء دينه من ماله**، وإن استهلكه جميعه، فإنه مرتهن بهذا الدين ولا يفك رِهانه حتى تقضى عنه ديونه؛ لقوله ﷺ: «**نفس المؤمن معلَّقة بدَينه حتى يُقضى عنه**»[٢].

وإن لم يكن ماله كافياً لقضاء جميع دينه، بادروا إلى قضائه من مالهم أو من أموال المحسنين، بحيث لا يُوضع في قبره إلا وقد قُضيت عنه جميع ديونه، وبَرِئَت ذمَّته منها.

٣ ـ **الاستغفار والدعاء للميت** بعد دفنه مباشرة؛ لحديث

---

(١) انظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ص١٣٥، وانظر: ما ينفع المسلم بعد وفاته ص٤٤.

(٢) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت (٣/ ٥٥٠/ رقم: ٣٢٢١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (٢/ ٦٢٠/ رقم: ٢٧٥٨).

عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسْأَل**»(١).

ومما يُشرع أيضاً: المكوث حول القبر بعد الدفن والدعاء للميت لاستئناسه بذلك، فقد جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: «... وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئِلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مت، فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فشنوا عليَّ التراب شناً، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور، ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربِّي»(٢).

كما ينبغي على مَنْ يعرفه من المسلمين الحرص على ما يلي:

١ ـ **الشهادة له بالخير إن كان من أهله**؛ لقوله ﷺ: «**إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤَمِّنون على ما**

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا أسلم (٢/ ١٧٥/ رقم: ١٥١٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (١/ ٢٨٢/ رقم: ١٣٣٧).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله... (١/ ١١٢/ رقم: ١٩٢).

تقولون»[١].

وقوله ﷺ: «أيُّما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا: وثلاثة، قال: وثلاثة، فقلنا: واثنان، قال: واثنان، ثم لم نسأله في الواحد»[٢].

٢ ـ حفظ اللسان عن سبِّه أو ذِكْر مساوئه؛ لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «لا تسبُّوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا»[٣].

وللأمان من فتنة القبر عدة تدابير من أبرزها:

المبحث الأول: قراءة سورة الملك:

لقوله ﷺ: «سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر»[٤].

فعلى المسلم أن يحرص على قراءتها وحفظها؛ لتسهل عليه قراءتها في أي مكان، وحثّه لمن ولاه الله أمرهم على حفظها وقراءتها على الدوام.

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الجنائز، باب ما يستحب أن يُقال عند الميت من الكلام (٣/ ٤٨٦/ رقم: ٣١١٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (٢/ ٦٠٢/ رقم: ٢٦٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت (٢/ ١٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما ينهى من سب الأموات (٢/ ١٢٩).

(٤) أخرجه ابن مردويه وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٣/ ٢١١/ رقم: ٣٥٣٧).

المبحث الثاني: الاستشهاد في سبيل الله:

لقوله ﷺ: «للشهيد عند الله ستّ خِصال: يُغْفَر له في أول دفعة من دمه، ويُرى مقعده من الجنة، ويُجَار من عذاب القبر، ويَأْمَن من الفزع الأكبر، ويُوضَع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويُزوَّج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشَفَّع في سبعين من أقاربه»(١).

المبحث الثالث: الرباط في سبيل الله:

لقوله ﷺ: «كل ميت يُخْتَم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنَّه يُنمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر»(٢).

المبحث الرابع: الموت يوم الجمعة أو ليلتها:

وهذه خاصية قدرية من الله تعالى وليست إرادية اختيارية من الإنسان، فمن قدَّر الله تعالى عليه الوفاة يوم الجمعة أو ليلتها فهو دليل على حُسن خاتمته وعلى أمانه من فتنة القبر. قال ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (أ: فضائل الجهاد، باب: ٢٥) (٣/١٠٦/ رقم: ١٧١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (٢/١٣٢/ رقم: ١٣٥٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (أ: فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل من مات مرابطاً) (٣/٨٩/ رقم: ١٦٧١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (٢/١٢٣/ رقم: ١٣٢٠).

القبر»[١].

المبحث الخامس: الاستعاذة بالله من عذاب وفتنة القبر في الصلاة:

لحديث عائشة رضي الله عنها المتقدم ذِكْره[٢].

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (أ: الجنائز، باب: ما جاء فيمن يموت يوم الجمعة) (٢/ ٢٦٨/ رقم: ١٠٨٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي باختصار السند (١/ ٣١٢/ رقم: ٨٥٨).

(٢) تقدم نصه وتخريجه عند الحديث عن التدابير التي ينبغي للمسلم أن يتخذها للعصمة من فتنة المسيح الدجال.

الخاتمـــة

ها هنا أخي القارئ، أختي القارئة ينتهي بنا المطاف بعد هذه الرحلة العلمية القصيرة التي هَدفْتُ من خلالها إلى التعريف بالمنهج الشرعي الذي يجب على المسلم أن يسلكه في مواجهة الفتن، وقد أسفر البحث عن النتائج التالية:

١ ـ **القاعدة الأساسية في مواجهة كافة الفتن هي الاعتصام بالكتاب والسنة.**

٢ ـ **يجب على المسلم الإمساك عمّا شجر بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم**، وحفظ لسانه عن الخوض فيهم.

٣ ـ **تكتنف المسلم في حياته العديد من الفتن الدنيوية منها فتنة المال والبنين والنساء**، فعليه ليسلم منها أن يجاهد نفسه في سلوك الطريق الشرعي لمواجهتها والتصدي لها.

٤ ـ **قد يكون اللسان آفة من الآفات التي تجرُّ على المسلم الويلات**، والميزان الشرعي الذي يجب عليه أن يزن به كلامه حتى لا يجره إلى الفتن هو: «**قل خيراً أو اصمت**».

٥ ـ **مما يفتن المسلم في دينه ظهور الخلاف والفرقة بين المسلمين**، ولا مخرج له من هذه الفتنة إلا بلزوم جماعة المسلمين.

٦ ـ **من علامات الساعة**: كثرة الهرج، وإهدار الدماء المسلمة

الغالية، ولا سبيل للنجاة من براثن هذه الفتنة الضارية إلا بالعزلة.

٧ ـ **من أعظم فتن آخر الزمان**: فتنة المسيح الدجال، وأهم ما يعصم المسلم منها حفظ العشر آيات الأول من سورة الكهف.

٨ ـ **عندما تسقط الورقة الأخيرة من عمر الإنسان وتعتركه فتنة الممات تشتد حاجة المسلم في تلك الساعة العصيبة إلى تلقينه الشهادة ممن حوله**، وتذكيره برحمة الله عز وجل ومغفرته ليفارق الحياة وهو محسن الظن بالله عز وجل، ويُختم له بلا إله إلا الله.

٩ ـ **آخر فتنة تعرض للمسلم فتنة القبر**، وللأمان منها عدة تدابير يفعلها المسلم في حياته أبرزها: قراءة سورة الملك، والرباط، والاستشهاد في سبيل الله، والتعوّذ بالله منها في الصلاة.

١٠ ـ **أهم حصن يقي المسلم جميع الفتن**، الاستعاذة بالله عز وجل منها قاطبة بصدق وإخلاص.

وخلاصة ما سبق:

أنه يجب على المسلم ليكون في مأمن من الفتن أن يُكْثِر من الاستعاذة بالله عز وجل منها جملة وتفصيلاً.

وأن يعتصم بالكتاب والسنة، ويعرض عليهما كل أمر يعرض له في دينه؛ ليكون موقفه فيه موافقاً للحق والصواب.

كما يجب عليه أن يسلك المسلك الشرعي الذي شرعه الله عز وجل للحيلولة دون الانجراف في مزالق الفتن بمختلف أنواعها وأزمانها.

هذا والله تعالى أعلم، وأسأله جل وعلا أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، صواباً، وأن يجعله علماً نافعاً أنتفع به بعد مماتي.

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

ثبت المصادر والمراجع

القـرآن الكريـم:

١ ـ (٧٠) **مخالفة تقع فيها النساء يجب الحذر منها**، راجعها وقدَّم لها فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين. الناشر: دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

٢ ـ **أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري**/ الدكتور جميل بن عبدالله المصري. الناشر: مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

٣ ـ **أحكام الجنائز وبدعها**/ **فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني**. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢).

٤ ـ **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار** ﷺ، الإمام المحدث الحافظ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي. الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٥ ـ **الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة**/ الدكتور عمارة نجيب. الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ ـ

١٩٨٠م).

٦ ـ **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة/** فضيلة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري (١٣٣٤ ـ ١٤١٣هـ). الناشر: دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ).

٧ ـ **الائتلاف والاختلاف، أُسسه وضوابطه/** فضيلة الشيخ أ.د. صالح بن غانم السدلان. الناشر: دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

٨ ـ **الاعتصام والسنة/** الإمام أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: الأستاذ خالد عبدالفتاح شبل. الناشر: الشركة العالمية للكتاب، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٠م).

٩ ـ **البداية والنهاية في التاريخ/** الإمام العالم الحافظ المفسِّر عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الفقيه الشافعي المتوفى سنة (٧٧٤هـ ـ ١٣٧٣م). تحقيق ومراجعة وتعليق وتصحيح: محمد عبدالعزيز النجار. الناشر: مكتبة الفلاح، الرياض، طبعة مطبعة السعادة (القاهرة).

١٠ ـ **برد الأكباد عند فقد الأولاد/** الحافظ المحدث أبي عبدالله محمد بن أبي بكر عبدالله بن محمد المعروف بابن ناصر الدين (٧٧٧ ـ ٨٤٢هـ). تحقيق ودراسة: مجدي قاسم. الناشر: مكتبة الحرمين للعلوم النافعة.

١١ ـ **تذكير العباد بحقوق الأولاد**/ فضيلة الشيخ عبدالله بن جار الله الجار الله. الناشر: دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

١٢ ـ **تربية الأولاد في الإسلام**/ عبدالله ناصح العلوان، الناشر: دار السلام، حلب، الطبعة الثانية (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

١٣ ـ **التربية في الإسلام**/ الدكتور أحمد إبراهيم المهنا. الناشر: مطابع دار الشعب، القاهرة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

١٤ ـ **تفسير القرآن العظيم**/ الحافظ ابن كثير (٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ). تحقيق: عبدالعزيز غنيم، محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا. الناشر: دار الشعب، القاهرة، (الطبعة بدون).

١٥ ـ **تفسير قوله**: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾/ فضيلة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين. الناشر: دار العاصمة، الرياض.

١٦ ـ **تنبيه الغافلين**/ الفقيه الزاهد الشيخ نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي. تحقيق: عبدالعزيز محمد الوكيل. الناشر: دار الشرق، جدة، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

١٧ ـ **تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين** لأبي حامد الغزالي/ محمد جمال الدين القاسمي، راجعه وحقق أحاديثه: طائفة من الجامعيين. الناشر: دار ابن القيم، الدمام، (الطبعة بدون).

١٨ ـ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي). الناشر: مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

١٩ ـ **الثبات عند الممات**/ الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، تحقيق وتعليق: خالد علي محمد. توزيع دار الأندلس، جدة.

٢٠ ـ **ثلاث رسائل في الغيبة**/ ابن تيمية، السيوطي، الشوكاني. تحقيق: حماد سلامة، راجعه: الدكتور محمد عويضة. الناشر: مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٢١ ـ **جامع البيان في تفسير القرآن**/ الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري. الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ ـ ١٩٠٨م)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.

٢٢ ـ **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**/ الإمام الحافظ الفقيه أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي (٧٣٦ ـ ٧٩٥هـ). تحقيق وتعليق: أبومعاذ طارق بن عوض الله بن محمد. الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة

٢٣ ـ **جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة/** فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتبة الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٢٤ ـ **حكم تارك الصلاة وفتن المجلات/** فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، **والمرأة في خطر/** فضيلة الشيخ عبدالرحمن السديس. الناشر: مكتبة الضياء.

٢٥ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/** الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني المتوفى سنة (٤٣٠هـ). الطبعة الأولى، طبعة مطبعة السعادة، مصر (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م).

٢٦ ـ **خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلِّمها أصحابه/** الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ).

٢٧ ـ **خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله/** سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، **والغيرة على الأعراض/** فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد. الناشر: دار طليطلة، الرياض.

٢٨ ـ **سنن أبي داود/** الإمام الحافظ أبي سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ) ومعه كتاب معالم السنن للخطابي (٣١٩ ـ ٣٨٨هـ) وهو شرح عليه مع تخريج أحاديثه

وترقيمها إعداد: الدكتور عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد. الناشر: دار الحديث، حمص، طبعة (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م).

٢٩ ـ **سنن ابن ماجه (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ)**. حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي. الناشر والطبعة: دار الفكر.

٣٠ ـ **سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح/** الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ). ضبطه وراجع أصوله وصححه: عبدالرحمن محمد عثمان، حققه وصححه: عبدالوهاب عبداللطيف. الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة، طبعة (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م) مطبعة المدني، القاهرة.

٣١ ـ **سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي**. الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠م).

٣٢ ـ **السنن الواردة في الفتن وأهوالها والساعة وأشراطها/** أبي عمرو عثمان بن عبدالله المقرئ الداني المتوفي سنة (٤٤٤هـ). دراسة وتحقيق: الدكتور رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. الناشر: دار العاصمة، الرياض،

٣٣ ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة من بعدهم/** الشيخ الإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري اللالكائي (٤١٨هـ). تحقيق: الدكتور أحمد سعد حمدان. الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية (١٤١١هـ).

٣٤ ـ **شرح العقيدة الطحاوية/** العلامة ابن أبي العز الحنفي. حققها وراجعها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها: فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والتوضيح بقلم: زهير الشاويش. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة (١٣٩١هـ).

٣٥ ـ **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية/** فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة السادسة (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣).

٣٦ ـ **شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين،** الإمام الحافظ الفقيه أبي زكريا يحيى بن شرف النووي. شرحه وأملاه: فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد وتقديم: الأستاذ الدكتور عبدالله بن محمد الطيار. الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

٣٧ ـ **الشريعة**/ الإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري المتوفي سنة ستين وثلاثمائة. تحقيق: محمد حامد الفقي. الناشر: أنصار السنة المحمدية، لاهور (الطبعة بدون).

٣٨ ـ **صحيح البخاري**. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، مطبعة مصطفى البابي وأولاده (١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨).

٣٩ ـ **صحيح الترغيب والترهيب**/ الحافظ المنذري. اختيار وتحقيق: فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

٤٠ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته**/ فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٤١ ـ **صحيح سنن أبي داود باختصار السند**. صحح أحاديثه: فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اختصر أسانيده وعلق عليه وفهرسه: زهير شاويش. الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).

٤٢ ـ **صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند**/ فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه والتعليق عليه

وفهرسته: زهير الشاويش. الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٣ - **صحيح سنن الترمذي باختصار السند/** فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. أشرف على طبعه والتعليق عليه وفهرسته: زهير الشاويش. الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٤٤ - **صحيح سنن النسائي باختصار السند.** صحح أحاديثه: فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته: زهير الشاويش. الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، طبعة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).

٤٥ - **صحيح الإمام مسلم بشرح النووي.** الناشر: دار الفكر، طبعة (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) المطبعة المصرية.

٤٦ - **صحيح مسلم/** الإمام أبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية (١٩٧٢م).

٤٧ - **الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن/** نص محاضرة

ألقاها فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ. الطبعة الثانية (١٤١٣هـ).

٤٨ ـ **الطفل في الشريعة الإسلامية نشأته، حياته، حقوقه التي كفلها الإسلام/** الدكتور محمد بن أحمد الصالح. الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).

٤٩ ـ **عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام/** سليمان بن حمد العودة. الناشر: دار طيبة، الطبعة الثالثة، (١٤١٢هـ).

٥٠ ـ **العبودية/** شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى سنة (٧٢٨هـ). الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة (١٣٩٩هـ).

٥١ ـ **العواصم من الفتن في سورة الكهف/** عبدالحميد محمود طهماز. الناشر: دار القلم، دمشق، دار المنارة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٥٢ ـ **العواصم من القواصم تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ/** القاضي أبي بكر العربي (٤٦٨ ـ ٥٤٣هـ). حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب. الناشر: مكتبة أسامة بن زيد، بيروت، طبعة (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٥٣ ـ **فتاوى إسلامية/** لأصحاب الفضيلة العلماء: سماحة الشيخ

عبدالعزيز بن باز، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين، إضافة إلى اللجنة الدائمة وقرارات المجمع الفقهي. جمع وترتيب: محمد المسند. الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٥٤ ـ **فتاوى السبكي**. الناشر: مكتبة القدس، القاهرة، طبعة (١٣٥٦هـ).

٥٥ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**/ الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ). رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه مرتبة على أرقامها في كل حديث: محمد فؤاد عبدالباقي، إخراج: محب الدين الخطيب. الناشر: دار المعرفة، بيروت.

٥٦ ـ **الفتن**/ فضيلة الشيخ أحمد عز الدين البيانوني. الناشر: دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٥٧ ـ **فتنة النساء**/ عبدالمنعم قنديل. الناشر: مكتبة التراث الإسلامي.

٥٨ ـ **الفتنة وموقف المسلم منها في القرآن**/ عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني. الناشر: دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

٥٩ ـ **القصيدة النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية/** الإمام ابن قيم الجوزية. الناشر: دار المعرفة، بيروت، طبعة مطبعة التقدم العلمية بمصر.

٦٠ ـ **كتاب الزهد ويليه كتاب الرقائق/** الإمام شيخ الإسلام عبدالله بن المبارك المروزي المتوفى سنة (١٨١هـ). حققه وعلَّق عليه: الأستاذ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٦١ ـ **كتاب السنة/** الحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني المتوفى سنة (٨٢٧هـ)، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة/ فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

٦٢ ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/** العلامة علاء الدين علي المتقي إحسان الدين الهندي البرهان فوري المتوفى سنة (٩٧٥هـ). الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، حلب، مؤسسة الرسالة.

٦٣ ـ **لسان العرب/** ابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي. الناشر: دار المعارف، القاهرة.

٦٤ ـ **لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها**/ محمد أمين المصري. الناشر: دار الفكر، بيروت، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م).

٦٥ ـ **مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب**. صنفها وأعدها: عبدالعزيز الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب. الناشر والطبعة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب).

٦٦ ـ **ما ينفع المسلم بعد وفاته**/ أبوحذيفة إبراهيم بن محمد، راجعه وقدّم له: د. حسن عبدالعال. الناشر: مكتبة الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٦٧ ـ **متن العقيدة الطحاوية**/ الإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي. الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.

٦٨ ـ **متن العقيدة الواسطية**/ شيخ الإسلام ابن تيمية. الناشر: مكتبة السوادي، طبعة (١٤١٣هـ).

٦٩ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**/ الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

٧٠ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**. جمع وترتيب:

الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي. الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، طبعة (١٤١٢هـ - ١٩٩١).

٧١ - **مجموعة رسائل في الحجاب والسفور**/ شيخ الإسلام ابن تيمية، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين، الشيخ محمد تقي الدين الهلالي الحسيني. الناشر والطبعة: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (١٤١٧هـ).

٧٢ - **مختصر منهاج القاصدين**/ الإمام الشيخ أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي. علّق عليه: شعيب الأرناؤوط، عبدالقادر الأرناؤوط. الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، توزيع مؤسسة علوم القرآن، بيروت، طبعة (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

٧٣ - **المستدرك على الصحيحين**/ الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري الحافظ المتوفى في صفر سنة خمس وأربعمائة، وبذيله تلخيص المستدرك/ الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة. الناشر: دارالفكر، بيروت (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

٧٤ ـ **مشكاة المصابيح**/ الشيخ محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي. تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٧٥ ـ **المعلوم في واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم**/ سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، إعداد: أبي عبدالله بن إبراهيم آل بليطيح الوايلي. الناشر: دار المنار، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).

٧٦ ـ **المفردات في غريب القرآن**/ أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ). تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني. الناشر: دار المعرفة، بيروت (الطبعة بدون).

٧٧ ـ **مقاصد أهل الحسبة**/ خالد بن عبدالرحمن الشايع، الناشر: دار بلنسية، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

٧٨ ـ **منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم**/ أحمد بن عبدالله الصويان. الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ).

٧٩ ـ **موطأ الإمام مالك وشرحه تنوير الحوالك**/ الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي المتوفى سنة (٩١١هـ).

الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأخيرة (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م).

٨٠ ـ **النميمة**/ عبدالملك القاسم، الناشر: دار القاسم، الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ).

٨١ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**/ الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

٨٢ ـ **واجبات الآباء نحو الأبناء**/ الشيخ أحمد القطان، إعداد: محمد الزين. الناشر: مكتبة السندس، الدوحة، الكويت، طبعة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٨٣ ـ **يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تُخْدَعي**/ الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي. الناشر: دار البخاري، بريدة، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ).

* * *

فهـرس الموضوعـات

الموضـــوع الصفحة
تقديم ٣
المقدمة ٥
تمهيد ٩
المبحث الأول: تعريف الفتن لغة واصطلاحاً ١٠
المبحث الثاني: خطورة الفتن على الدين ١٦
المبحث الثالث: المنهج الصحيح في مواجهة الفتن ... ١٨
الباب الأول: الفتن الماضية ٢٢
الفصل الأول: نماذج مما وقع بين الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم من الفتن ٢٣
المبحث الأول: موقعة الجمل ٢٣
المبحث الثاني: موقعة صفين ٢٥
الفصل الثاني: معتقد أهل السنة والجماعة في صحابة
رسول الله ﷺ ورضوان الله تعالى عليهم ٢٧
الباب الثاني: الفتن المستمرة ٣٣
الفصل الأول: فتن دينية ٣٤
المبحث الأول: فتنة اللسان ٣٤
المبحث الثاني: فتنة الخلاف والفرقة ٥٩
المبحث الثالث: فتنة التعصب والهوى ٦٥

المبحث الرابع: ما قد يقع من جور الأئمة ٦٧
الفصل الثاني: فتن دنيوية ٧١
المبحث الأول: فتنة المال ٧١
المبحث الثاني: فتنة النساء ٨١
المبحث الثالث: فتنة البنين ٨٧
الباب الثالث: الفتن المقبلة ١٠١
الفصل الأول: فتنة الهرج ١٠٢
الفصل الثاني: فتنة الدجال ١١٢
الفصل الثالث: فتنة الممات ١٢٠
الفصل الرابع: فتنة القبر ١٢٨
الخاتمة ١٤٠
ثبت المصادر والمراجع ١٤٣
فهرس الموضوعات ١٥٩

* * *